مجلة شهرية
Issue No: 187 عدد:
March 2023 شهر آذار

نـــــور المسيـــــح
يسوع المسيح الغالب
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ
جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

الصليب الكريم المقدَّس

فبالمسيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ (١كورنثوس ١:٢٤)

إمنَح رأفتك لرعيَّتِكَ الجديدة المنسوبة إليك أيُّها المسيح الإله
يا من ارتفع على الصليب طوعًا وَسُرَّ مُبهِجًا بقدرتك ملوكنا المؤمنين
مانحًا إيَّاهم الغلبة على الأعداء
ولتكن لهُم مؤازرتك سلاحَ سِلْمٍ وراية ظَفَرٍ لا تُقهَر

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد شفيعه القديس الشهيد ثيوفيلوس الذي مع الشهداء الأربعين 16/02/2021

يَهْتِفُ مُرَنِّمُ الكَنِيسَة قَائِلًا: «مَا أَبْهَى وَمَا أَبْهَجَ قُوَّةَ صَلِيبِكَ أَيُّهَا الْمَسِيحُ. فَأَنَّهَا بِوَاسِطَةِ الْأَضْدَادِ قَدْ ضَفَّرَتِ الْأَكَالِيلَ لِلشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعِينَ الَّذِينَ جَازُوا فِي النَّارِ وَالْمَاءِ وَلَمْ يَبْلُوا. فَصَرَخُوا قَائِلِينَ: مُبَارَكٌ أَنْتَ يَا اللهُ إِلَهَ آبَائِنَا.»

أَيُّهَا المَحوبينَ بالرَّبِّ يَسُوع المسيح.

أَيُّهَا المسيحيُّون الأتقياء والزُّوار الكِرَام.

«أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ، هُمَا يَهْدِيَانِنِي وَيَأْتِيَانِ بِي إِلَى جَبَلِ قُدْسِكَ وَإِلَى مَسَاكِنِكَ.» (مَزْ ٤٢: ٣)، هَكَذَا يَتَرَنَّمُ جَوْق الشُّهَدَاءِ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ الْمُسْتَشْهِدِينَ فِي مَدِينَةِ سَبْسَطِيَة وَالَّذِي نُعَيِّدُ الْيَوْم بِفَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ لِتِذْكَارِهِمِ السَّنَوِيّ. وَيَقُولُ **الْقِدِّيس بَاسِيلْيُوس**: «إِنَّ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ شَهِيدًا قَدْ كَافَحُوا عَلَى الْأَرْضِ وَصَبَرُوا عَلَى انْفِعَالَاتِ الْأَهْوَاءِ وَدُفِعُوا إِلَى النَّارِ وَقَلَّبَتْ الْمِيَاهُ بَقَايَاهُمْ.». فَيَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يَهْتِفُوا: «جُزْنَا فِي النَّارِ وَالْمَاءِ ثُمَّ أَخْرَجْتَنَا إِلَى الرَّاحَةِ» (مز٦٥: ١٢). وَقَدْ صَنَعَ الْقِدِّيسون الشُّهَدَاءَ هَذَا،لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا بِقَوْلِ **الْقِدِّيسِ الْحَكِيمِ بُولُس الرَّسُول**: «بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ.» (فِي٣: ٨).

وَيَقُولُ **الْقِدِّيسُ غِرِيغُورْيُوس النِّيصِي** فِي مَدِيحِ الْقِدِّيسِينَ الشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعِينَ:«إِنَّ حَلَاوَةَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ لَمْ تَجْذِبْ هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدِينَ الْعِظَامَ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ هُمْ تَجَنَّبُوا «نُورَ الشَّمْسِ» لِكَيْلَا يَفْقِدُوا النُّورَ الْحَقِيقِيَّ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الشُّهَدَاءَ قَدْ رَفَضُوا وَعَادُوا وَازْدَرَوْا بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكْسِبُوا الْمَسِيحَ الصَّالِحَ وَحْدَهُ.»

حَقًّا إِنَّ هَذَا يُبَرْهِنُ عَلَى مَحَبَّةِ الشُّهَدَاءِ الْعَظِيمَةِ وَالْكَبِيرَةِ لِإِلَهِنَا وَمُخَلِّصِنَا الْمَسِيح. «الَّذِي دَعَاهُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ.» (١ بط ٢: ٩). إِنَّ هَؤُلَاءَ الشُّهَدَاءُ الْمُخْتَارِينَ مِنَ اللهِ قَدْ تَجَرَّأُوا لِكَيْ يَمُوتُوا مِنْ أَجْلِ « الْخَيْرِ» الْوَحِيدِ الصَّالِحِ أَيْ إِلَهِنَا الْمَسِيحَ كَمَا يَكْرِزُ **الرَّسُولُ بُولُس**: «فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ.» (رو ٥: ٧).

إِنَّ الْجَوْقَةَ الْمُقَدَّسَةَ لِلشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعِينَ الْمُتَسَاوِينَ فِي الْجِهَادِ وَالْمُتَسَاوِينَ فِي الرَّأْيِ وَالْمُتَسَاوِينَ فِي نَيْلِ الْأَكَالِيلِ أَيْضًا، قَدْ صَارُوا كَالْفِئَةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ طُرِحُوا فِي أَتُونِ النَّارِ إِذْ بِفَمٍ وَاحِدٍ سَبَحُوا وَمَجَّدُوا وَبَارَكُوا اللهَ قَائِلِينَ: «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ». «فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ. عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ أَيْضًا. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ.». (رُومِيَّة ٦: ٥ و٨ –٩).

لَقَدْ كَانَ لَدَى الشُّهَدَاءِ يَقِينُ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ مَعَ الْمَسِيحِ لِكَيْ يَحْيَوْا مَعَهُ فَلَمْ يَجْزَعُوا وَلَمْ يَرْتَاعُوا بَلْ عَلَى الْعَكْسِ فَقَدْ كَانُوا مُسَاقِينَ بِالرُّوحِ الْإِلَهِيِّ طَالِبِينَ فِدَائِهِمْ بِدَمِ الْمَسِيحِ وَغُفْرَانِ خَطَايَاهُمْ أَيْ تَطَهُّرِهِمْ مِنَ الزَّلَّاتِ أَيْ تَطَهُّرِهِمْ مِنْ خَطَايَاهُمْ «حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ» (أفس ١: ٧).

إِنَّ هَذَا الْعِيدَ السَّنَوِيَّ لِلْقِدِّيسِينَ الشُّهَدَاءِ الْأَرْبَعِينَ وَبِالْأَخَصِّ **لِلْقِدِّيسِ ثُيُوفِيلُوسْ** الْمُسْتَشْهِدَ مَعَهُمْ وَالَّذِي حَقَارَتُنَا تَحْمِلُ اِسْمَهُ الْمُوَقَّرَ يُشَكِّلُ «تِذْكَارًا أَمَامَ اللهِ.» (أَع ١٠: ٤)، وَهَذَا لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقِدِّيسِينَ الْأَرْبَعِينَ شَهِيدًا قَدْ جَعَلُوا الْأَرْضَ سَمَاءً وَأَنَارُوا الْجَمِيعَ ، وَصَارُوا شُهُودًا صَادِقِينَ وَكَارِزِينَ لِلْمَسْكُونَةِ بِآلَامِ الْمَسِيحِ وَقِيَامَتِهِ

وَأَيْضًا رَفْعًا الْمَجْدَ وَالشُّكْرَ لِإِلَهِنَا الْوَاحِدِ الْمُثَلَّثِ الْأَقَانِيمِ وَهَذَا لِأَنَّنِي أَحْمِلُ اِسْمَ الْقِدِّيسِ الشَّهِيدِ ثُيُوفِيلُوسْ وَنَقُولُ: كَمَا يَقُولُ **الْقِدِّيسُ بُولِيكَارْبُوسُ أُسقُف سَمِيرْنَا**: «نُبَارِكُ رَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ مُخْلِصُ نُفُوسِنَا وَسَيِّدُ أَجْسَادِنَا وَرَاعِي الْكَنِيسَةِ الْجَامِعَةِ الْكَائِنَةِ فِي الْعَالَمِ كُلِّه.»

وَيَذْكُرُ **الْقِدِّيسُ يُوحَنَّا الدِّمَشْقِي** عَنْ أَهَمِّيَّةِ إِعْطَاءِ الْإِكْرَامِ لِلْقِدِّيسِينَ مُسْتَنِدًا بِهَذَا عَلَى شَهَادَةِ **الْقِدِّيس يُوحَنَّا الْإِنْجِيلِيِّ وَالرَّسُولِ الْحَكِيمِ بُولُس**: فَإِنَّ الْقِدِّيسِين بِشَكْلٍ عَام « وَالشُّهَدَاء» بِشَكْلٍ خَاصّ هُمْ أَصْدِقَاءُ الْمَسِيحِ، وَأَبْنَاءُ وَوَرَثَةُ اللهِ. «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ،» (يُوحَنَّا ١: ١٢) ؛ «إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا

بَلِ ابْنًا، وَإِنْ كُنْتَ ابْنًا فَوَارِثٌ للهِ بِالْمَسِيحِ.» (غَلاطِيَّة ٤:٧). «فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ.» (رو ٨: ١٧).

وَنَقُولُ هَذَا الْيَوْمُ لِأَنَّ عِيدَ الْقِدِّيسون الشُّهَدَاءَ الْأَرْبَعونَ وَبِالْأَخَصِّ **لِلْقِدِّيسِ ثُيُوفِيلُوسْ** الْمُسْتَشْهِدَ مَعَهُمْ ، لَا يَخُصُّ حَقَارَتُنَا فَقَطْ بَلْ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْمُؤَسَّسَةِ الرَّسُولِيَّةِ وَالْبَطْرِيَرْكِيَّةِ وَالَّتِي «أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ، ... شَاكِرِينَ الآبَ وَأَيضًا ابْنِ مَحَبَّتِهِ» (كولُ١:١٢-١٣)، هُوَ الْمَسِيحُ ابْنِ اللهِ: «الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ، وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ.» (كولُ١:١٧-١٨)، «الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ.» (أع٢٠: ٢٨)، هَذَا الدَّمُ، دَمُ الْمَسِيحُ الَّذِي صَارَ الْقِدِّيسون الشُّهَدَاءَ الْأَرْبَعونَ مُسَاهِمُونَ وَمُشَارِكُونَ فِيهِ (أَيْ مُشَارِكُونَ فِي الشَّهَادَةِ وَفِي سَفْكِ دِمَائِهِمْ مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ).

وَلِأَنَّهُم عَامِلِينَ وَسَامِعِينَ لِكِرَازَةِ الْقِدِّيسِ الرَّسُول بُولُسَ: «فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ..» (أف٦:١٢)، فَالشُّهَدَاءُ الْأَرْبَعُونَ «أَحِبَّةُ الْمَسِيحُ» قَدْ ازْدِرَوْا بِهذِهِ الْحَيَاةِ الْوَقْتِيَّةِ الفانية: «لِكَيْ يُمَجِّدَهُمُ اللهُ فِي الدَّهْرِ الْعَتِيدِ »كَمَا يَقُولُ **الْقِدِّيسْ بَاسِيلْيُوس الْكَبِيرَ**، لِهَذَا فَإِنَّ رِسَالَةَ هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ وَالْقِدِّيسِينَ وَأَصْدِقَاءِ الْمَسِيحِ تَأْتِينَا لِكَيْ تَهْدِينَا نَحْوَ الشُّعَاعِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّ الْمُجَدَاء يَتَلَأْلَأُونَ مُتَأَلِّقِينَ بِإِنَارَةِ الْمَسِيحِ الْعَقْلِيَّةِ .

وَبِحَسَبِ **كَلِيمَنْضُسَ الْإِسْكَنْدَرِيَّ**: «إِنَّنَا نُسَمِّي الِاسْتِشْهَادُ بِالْكَمَالِ » لَيْسَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ نَالَهُ عَلَى أَنَّهُ نِهَايَةُ الْحَيَاةِ أَوْ زَوالها من الناحية الزَّمَنِيَّة « كَبَقِيَّةِ النَّاس» بَلْ لأَنَّها هِيَ إِتْمَامُ وَاسْتِكْمَالُ عَمَلِ الْمَحَبَّةِ الباذلة. وَهَذَا مَا نَقْصِدُهُ «بِإِتْمَامِ عَمَلِ الْمَحَبَّةِ» الَّذِي هُوَ نَوال وِحْدَةُ الْكَنَائِسِ الْأُرْثُوذُكْسِيَّةِ الْمَحَلِّيَّةِ الَّذِي نَسْعَى إِلَيْهِ وَنَطْلُبُهُ نَحْنُ بِإِلحاحٍ، كَمَا طَلَبَهُ وَسَعَى إِلَيْهِ الْقِدِّيسِينَ الشُّهَدَاءَ الْأَرْبَعِينَ كَمَا يُؤَكِّدُ هَذَا الْمِثَالِ بِشَكْلٍ رَائِعٍ **أَبِ الْكَنِيسَةِ الْعَظِيمِ الْقِدِّيس بَاسِيلْيُوس الْكَبِير**: « لَمْ يَكُنْ لِهَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ وَطَنًا وَاحِدًا بَلْ كُلٌّ مِنْهُمْ قَدْ نَشَأَ فِي بَلْدَةٍ مَا فَجِنْسُهُمُ الْبَشَرِيُّ مُخْتَلِفٌ وَأَمَّا جِنْسُهُمُ الرُّوحِيُّ فَهُوَ وَاحِدٌ. فَإِنَّ لَهُمْ أَبًا وَاحِدًا هُوَ اللهُ وَجَمِيعُهُمْ إِخْوَةٌ لَمْ يَلِدُهُمْ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ بَلْ وُلِدُوا بِتَبَنِّي الرُّوحِ الْقُدُسِ وَآلَفَتْ بَيْنَهُمْ وَحْدَةُ الْمَحَبَّةِ الْمُتَبَادَلَةِ ». وَبِكَلَامٍ آخَرَ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقِدِّيسُون الشُّهَدَاءَ هُمْ صَوْتُ **الْقِدِّيسِ الرَّسُولْ بُولُسْ الْإِلَهِيَّ** لأنهم كانوا: «... مُجْتَهِدِينَ أَنْ يَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ.» (افس ٤:٣).

وَطَاعَةً لِهَذَا الْأَمْرِ وَلِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ فَنَحْنُ مَدْعُوُّونَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ، دَعْوَةُ شَهَادَةِ الْوَحْدَةِ وَالسَّلَامِ وَمَحَبَّةِ إِنْجِيلِ إِلهِنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَبِالْأَخَصِّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ فِي مَيْدَانِ الصَّوْمِ الْأَرْبَعِينِيِّ الْكَبِيرِ :«لِكَيْ نَكُونَ عَامِلِينَ مَعَهُمْ بِالْحَقِّ.» (٣يو١:٨)، وَذَلِكَ لِكَيْ كَمَا يَقُولُ بُولُسْ الْإِلَهِيَّ إِنَّ اللهَ فِي الْمَسِيحِ أَوْكَلَ إِلَيْنَا كِرَازَةَ الْمُصَالَحَةَ «وَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ.» (٢ كور ٥ : ١٩).

وَإِذْ لَدَيْنَا فِي هَذَا الصَّوْمِ مُعَاوِنُونَ وَمُسَاعِدُونَ هُمُ الشُّهَدَاءُ الْقِدِّيسُونَ الْأَرْبَعُونَ شَهِيدًا وَالْقِدِّيسُ الَّذِي أَحْمِلُ اسْمَهُ ثُيُوفِيلُوسْ الْمُسْتَشْهِدَ مَعَهُمْ، وَسَيِّدَتِنَا الْفَائِقَةِ الْبَرَكَاتِ وَالِدَةَ الْإِلَهِ الدَّائِمَةِ الْبَتُولِيَّةِ مَرْيَمَ، مُتَضَرِّعِينَ إِلَيْهِمْ لِكَيْ بِسَلَامٍ وَتَوَاضُعٍ وَتَوْبَةٍ أن نكون مُسْتَحِقِّيْنَ مُعَايَنَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَجِيد، قِيَامَةُ رَبِّنا وإِلهِنَا وَمُخَلِّصِ نُفُوسَنَا مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ .

لِهَذَا أَتَضَرَّعُ إِلى اللهِ لجميع مِنْ شَارَكْنَا الْيَوْم فِي هَذِهِ الصَّلَاة وَالَّذِينَ حَضَرُوا مَعَنَا مُكَرَّمِينَ تِذْكَارَ عِيدِ الْقِدِّيسِينَ الشُّهَدَاء الْأَرْبَعِينَ أَنْ يَمْنَحَهُمْ قُوَّةً مِنَ الْعَلَاءْ وَمَوْهِبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَنِعْمَةً مِنْ الْقَبْرِ الْقَابِلِ الْحَيَاةِ وَصَبْرًا وَكُلَّ بَرَكَةٍ مِنْ لَدُنْ اللهِ مُخَلِّصِنَا. آمين.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الصوم في أقوال القديس غريغوريوس النيصي (٣٣٥-٣٩٥)

«كُنْ كريمًا مع هؤلاءِ الإخوة، ضحايا الشَّدائد. أَعطِ الجائعَ ما تطرحُهُ عَن بَطنِكَ».

«لا تُفكِّروا بأَنَّ كُلَّ شيءٍ هو لَكُم! يَجِبُ أَنْ يكونَ هناكَ جزءٌ أَيضًا لِلفقَراءِ، أَصدقاءُ اللهِ. في الحقيقةِ، بالفِعلِ، كلُّ شيءٍ يأتي مِن لَدُنِ اللهِ، الأَبُ الكونيّ، وإِنَّنا إِخوةٌ، ونَنْتَمي لِلذُّرِّيَّةِ نَفْسِها».

« ولكن ماذا يَنْفَعُكَ أَنْ تَصومَ وتَحْرِمَ نَفْسَكَ من اللُّحومِ، إِنْ كنتَ بَعدَ ذلِكَ كُلِّهِ لا تَقومُ سِوى بِنَهشِ أَخيكَ بدناءَتِكَ؟ أَيُّ فائِدَةٍ تَجني، أَمامَ اللهِ، مِن عَدَمِ أَكْلِكَ مِمَّا هو لَكَ، إِنْ كانَ بَعدَ هذا، وبِتَصَرُّفٍ غيرِ عادِلٍ، تَنْتَزِعُ مِن يَدِ الفَقيرِ ما هو لَه؟».

❁ حيثُ يتكلَّم عن الاعتراف الإيمانيّ الأرثوذكسيّ

١) نحنُ نُؤْمِنُ باللهِ، وَنَأْمِنُ الله. والفعلان مختلفان في معناهما. فأَنْ يَأْمَنَ المرءُ إلى اللهِ يعني أنْ يَثِقَ بِهِ ويقتنع بحقيقةِ وُعُودِهِ المعطاة له. أمَّا أن يُؤمن باللهِ فيعني أن يعتقد به عقيدةً قويمةً (ويتبع وصاياه). علينا أن نَقتبل الإثنين، أن نكون صادقين من الجهتين. أنْ نؤمن عن طريق الذين ينظرون إلى اللهِ باستقامة وأن نَبقى أمينين للهِ في كُلِّ ما وعدنا (وأوصانا) وهكذا نتبرَّر.

«لأنَّ ابراهيم آمنَ بالله فَحُسِبَ لهُ بِرًّا» (رو٤:٣). كيفَ كان ذلك؟ وعده الله بنسل وهو إسحٰق وأنَّهُ به تتبارك قبائل الأرض كلِّها. ثُمَّ أُمِرَ بِأَن يَذبَحَ ابنه الوحيد الذي به يتحقَّق الوَعدُ. فَأَسرَعَ وَأَطَاعَ. وفي الوقتِ نفسه لم يَزَل يعتبر وَعْدَ الله حقيقةً.

٢) أَرأيتَ كيفَ يكون الإيمانُ الذي يُبَرِّرُ؟ لقد وعدنا المسيح بميراثِ حياةٍ أبديَّة، بالنعيمِ والمجدِ والملكوت، وفي الوقت نفسه طَلَبَ مِنَّا أن نفتقر، أن نصوم، أن نعيش في البساطة والشِّدَّةِ، أنْ نكونَ مستعدِّين لأنْ نَصلِبَ أنفسنا مع الأهواءِ والشَّهوات. إنْ كُنَّا نتَّبع وصاياه هذه، وفي الوقتِ نفسه نُؤمن بما وعدنا بِهِ، نُأْمِنُ إلى اللهِ على مثال إبراهيم ونتبرَّر.

٣) لاحظوا تسلسل الأمور. عندما قَبِلَ إبراهيم ذبيحة إسحٰق، لم يُشهَد فقط لإيمانه، بل أيضًا أصبحَ سَبَبًا لمجيءِ المسيح، لولادتهِ من نسلهِ الذي به تباركت قبائل الأرض، وتحقَّقَ الوَعْدُ. لأنَّ الله أصبَحَ مَدينًا بطريقةٍ ما للذي قَدَّمَ له ابنه الوحيد إسحٰق، مَدينًا ليُعطيه عِوَضًا عن ذلك تحقيق وعد الله بإرسالِ ابنه الوحيد الحقيقي (المسيح).

هكذا فإنْ نَحيَا في نعمةِ وصايا الله: التعقُّل، العدل، التواضع، الصبر على كُلِّ شِدَّةٍ وإساءَةٍ، مقابلة الشَّرّ بالخيرِ، وكذلك تقشُّف الجسد بالأصوامِ والأسهار، وعامةً صَلب نفوسنا مع الأهواءِ والشَّهواتِ، كُلُّ ذلك برهانٌ على صحة إيماننا بمواعيد المسيح، ممَّا يجعل الله مَدينًا ليُعطينا بالمقابل الحياة الأبديَّة والنعيم الأزلي والمجد والملكوت.

٤) لذلك يتَوَجَّه الرَّبُّ يسوع المسيح إلى تلاميذه الأطهار قائلًا: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ،» (**الذين لديهم الاتضاع والمسكنة بالرُّوح**) لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ» (متى ٥:٣). «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ، وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الضَّاحِكُونَ الآنَ، وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الشَّبَاعَى،وَيْلٌ لَكُمْ إِذَا قَالَ فِيكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ حَسَنًا» (لوقا ٦:٢٤-٢٦). مَنْ لا يتطلَّع إلى التطويبات فحسب بل إلى اللعنات أيضًا، كيفَ لا يعود يَأْمَنُ إلى اللهِ؟ يقول **القديس يعقوب الرسول** في رسالته: «أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ» (يع٢:١٨)، وأيضًا: «مَنْ هُوَ حَكِيمٌ وَعَالِمٌ بَيْنَكُمْ، فَلْيُرِ أَعْمَالَهُ بِالتَّصَرُّفِ الْحَسَنِ فِي وَدَاعَةِ الْحِكْمَةِ.» (يع ٣:١٣).

٥) عندما نَأْمَنُ إلى اللهِ حقيقةً، نعترف أنَّ وعوده حقيقيَّة (نتَّبع وصاياه) وننتظر تحقيق هذه الوعود بسرعة. يظهر ذلك من خلال أعمالنا الحسنة واتِّباعنا وصاياه. وعندما نُؤمن باللهِ، نُفَكِّرُ به بطريقةٍ مُستقيمة. كيف؟ نتحقَّق من ذلك عن طريق توافق إيماننا مع الآباء المتوشِّحين باللهِ. وإذا أَمِنَّا إلى اللهِ، قاومنا شهوات جسدنا، وكذلك فخاخ العدوّ، وأيضًا أولئك الذين يجرّوننا إلى الملذَّات الدنيئة. إن آمَنَّا باستقامةٍ باللهِ الحقيقيّ، لا نُقاوم الشّرير فقط، بَل أيضًا الناس الأشرار. كما أنَّنا من جهةٍ ثانية، في حال استعداد إيماننا الطيِّب في الحالات الصَّعبة، لا نقتبل فقط معونة الله نفسه، بل أيضًا قُوَّته الفاعلة فينا، وكذلك معونة الملائكة الصالحين ومعونة الناس المُتَّقين الله العائشين بحسب مشيئته.

❁ الثالوث

٦) لذلك فإنَّ كنيسة المسيح، أُمُّنا الرُّوحيَّة المشتركة والمغذِّية إيَّانا، تَكرِزُ لنا من جهةٍ بصورةٍ علنيَّةٍ واضحة بكلِّ الذين لمعوا بحسب تقواهم وفضيلتهم ومجامعهم وعقائدهم، ومن جهةٍ ثانية تدحض بصورةٍ رسميَّةٍ قاطعة أتباع عدم التقوى وتعاليمهم الشّريرة وأفكارهم. وهكذا نبتعد عن هؤلاء ونتَّبع أصحاب **الرأي القويم**. نؤمن بإله واحد، آبٍ وابنٍ وروحٍ قُدُس، منه وبه ومن أجله صار كُلّ شيء، وهو واحد في ثلاثة ومُثَلَّث في واحد: أقانيم ثلاثة متّحدة بلا امتزاج وموزَّعة بلا انفصال.

❁ الآب

٧) هو آب بلا زمن، أزليّ وبدون ابتداء. إنَّه المصدر الوحيد وعلَّة الألوهة الكائنة أيضًا في الابن وفي الرُّوح القُدُس. ليس فقط بخالقٍ، بل هو أيضًا وحيد لابنٍ واحد وباثقٌ وحيد لرُوحٍ قُدُسٍ واحد كائن بصورة دائمة، وآب كائن على الدوام وكائن وحده كآب وَكَمُنْبَثِق منه.

❁ الابن

٨) له ابنٌ واحد أزلي معه، بلا ابتداءٍ معه في الزمن. وفي الوقت نفسه مولودًا من الآب قبل الدهور والآب مصدره، علَّته. جاءَ منه قبل الدهور بلا هيولي، منزَّهًا عن كُلِّ هوًى، بلا سيلان ... هو إله من إله، ليسَ إلهًا آخر كونه إلهًا وكونه ابنًا. كائن على الدوام، كائن ابنًا على الدوام، وكائن دومًا نحو الله بدون امتزاج. كلمة حيَّة، نور حقّ، حكمة في أُقنوم واحد. عِلَّة وبداية كُلِّ المخلوقات طالما أنَّ هذه كلُّها صارت بواسطته. لقد أفرغَ هذا الابن ذاته في آخر الأزمانِ. وكما قال الأنبياء: أَخَذَ من أجلنا صورة عبدٍ، تجَسَّدَ من مريمَ الدائمةِ البتوليَّةِ، بمسرَّة الرُّوح القُدُس ومؤازرته. وُلِدَ وتَجَسَّدَ حقيقةً، وتشبَّه بنا في كُلِّ شيء ما عدا الخطيئة، وبقي كما كان إلهًا حقيقيًّا في أُقنوم واحد بعد التجسُّد. فاعلًا في كُلِّ شيء كإله وإنسان معًا. مُنَزَّهًا عن الهوى، غير مائت، متصرِّفًا كإله، متألمًا بإرادته من أجلنا بحسب الجسد كإنسان. صُلِبَ وماتَ وقامَ في اليوم الثالث، ناقِضًا بموتِهِ وقيامتِهِ ذاكَ الذي كانت له سيادة الموت. وظهر بعد القيامة، وصَعِدَ إلى السماءِ، وجلسَ عن يمين الآب بعد أن جعَلَ جبلَّتنا مُكرَّمة معه، جالسة على العرشِ معه، وهو الذي بالجسد المُمَجَّد نفسه ينبغي أن يعود ليدين الأحياء والأموات، ويُعطي كُلّ واحدٍ بحسب أعماله.

نعترف بكُلِّ ذلك، ونسجد للتي ولدته بطريقةٍ عُذريَّة، وكذلك لأولئك القدِّيسين الذين أرضوه. نُكَرِّم ونسجد أيضًا لأدوات آلامه، وعلى الأخص للصليب، كشارات إلهيَّة لِظَفَرِهِ ضدَّ العدوّ المشترك. نُقيم تذكار هذه الغلبَة بحسب وصيَّة السيِّد في كُلِّ يوم، فنخدم الأسرار الإلهيَّة ونشترك فيها. وحَسَب وعْده، وقبل كُلِّ شيء آخر، نعتمد باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس، الاسم الثالوثي الذي يليق به كُلّ وقار وسجود.

❁ الرُّوح القُدُس

٩) ينبثق من الآب الأزلي الذي لا بدء له، وهو مع الآب والابن في عدم البداءة. ليسَ بلا ابتداء كأُقنوم الآب لأنَّ أصل الرُّوح القُدُس وبداءته وعلّته هو الآب. إنْبَثَقَ منه (من الآب) قبلَ كُلِّ الدهور بلا سيلان مُنَزَّهًا عن الهوى، ولا ينفصل عن الآب والابن، لأنَّه يأتي من الآب، ويستريح في الابن، مُتَّحِدًا معهما بدون امتزاج، ومُمَيَّزًا عنهما بدون انقسام. إله من إله، أُقنوم مُستقلّ مُقَدَّس، إلهٌ وَمُعَزٍّ. وجوده من الآب، وهو مُرسَل من الابن لبداية حياة أبديَّة كعربون للخيرات المستقبلة. هو سبب الخلائق كلّها، لأنه فيه صارت كلّها مع عمل الآب والابن. هو مفترق عنهما كأُقنوم، منبثق من الآب من حيثُ عدم الولادة (أُقنوم الآب) ومن حيث الولادة (أُقنوم الابن) «**أُقنوم الآب غير المولود؛ أُقنوم الابن المولود من الآب قبل الدهور؛ أُقنوم الرُّوح القُدُس المُنبثق من الآب**». أرسَله الابن إلى تلاميذه، أي ظهر لهم، إذ كيفَ يُرسَل وهو الحاضر في كُلِّ مكان ولا ينفصل عن مُرْسِلِهِ؟ مِمَّا يَدُلُّ على أنَّهُ ليسَ مُرسَلًا من الابن فقط، بل من الآب أيضًا، ومن نفسِهِ.

الإرسال أي الظهور هو عملٌ مشترك **للآب وللابن وللروح القُدُس**.

١٠) لا يظهر الرُّوح القُدُس بحسب الجوهر، إذ لم يَرَ أحدٌ طبيعة الله، بل يظهر بحسب النعمة والقُوَّة والطَّاقة (*Energie*)، التي هي مُشتركة للآب وللابن وللرُّوح القُدُس. فالأقنوم وما يختَصّ به خاصٌّ بكُلِّ واحد، أمَّا ما هو مشترك فليسَ فقط الجوهر غير المنظور وغير المُشَارَك فيه. بل أيضًا النعمة والقدرة والقوَّة واللمعان وعدم الفساد والمُلك وكُلّ ما هو مشترك بالنعمة بين الله والملائكة القدِّيسين والبَشَر دون أن يسقط عن وحدته وبساطته، كما أيضًا لا يسقط عن وحدته بسبب افتراق الأقانيم، ولا بسبب تنوُّع القِوى الإلهيَّة.

هكذا نؤمن بإله واحد، وبألوهة واحدة كُلِّيَّة القُدرة في ثلاثة أقانيم، ونكرز بأولئك القدّيسين الذين بإيمانهم هذا أرضوا الله، بينما نرفُض كُلّ الذين لا يُؤمنون بذلك، **ويبتدعون هرطقات ومنازعات أُخرى**.

إعرفوا هذا أيُّها الأخوة أنَّ الأهواء الشِّريرة، والعقائد غير المستقيمة مرتبطة بعضها ببعض، وهي حاصلة بسبب بُعدنا عن الله، وبُعد الله العادل عنَّا. (أي أنَّ السلوك الشِّرير ناتج عن عقيدة ضالَّة، كما أنَّ العقيدة المستقيمة تقودُ إلى سلوك مستقيم).

١١) حتى أنَّ عِظَم كثرة الخطايا يحصل بداعي عدم الإيمان وعدم التَّقوَى. هذا ما يعلّمنا إيَّاهُ بولس الرسول الذي يكتب عن الوثنيين: «وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ.» (رو١:٢٨)؛ «لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ » (رو١:٢١)؛ « لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ. مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ» (رو١:٢٨-٢٩).

إنَّ عدم الإيمان وعدم التقوى يأتيان عن طريق الخطيئة (أو أنَّ الخطيئة تقودُ إلى عدم الإيمان). فإنَّ سليمان الملك، عندما استسلم إلى الشَّهواتِ الجسديَّة، وقع في الوثنيَّة. ويربعام الملك، عندما غلبه حُبّ السُّلطة الشَّديد، التجأ إلى الذبائح المقدَّمة إلى البقرات الذهبيَّة (الأصنام). ويهوذا الخائن، عندما مَرِضَ بمحبَّة الفضَّة، أَسْلَمَ الله وأماته.

١٢) لذلك إذًا، بما أنَّ الإيمان بدون أعمال ميِّت وبلا فاعِليَّة، وكذلك الأعمال بدون إيمان باطلة وبلا فائدة، فإنَّ نعمة الرُّوح القُدُس اليوم في زمنِ الصَّوم الوقور هذا، والجهاد الصَّالح الفاضل تحذو بنا إلى الكرازة بالذين قطعوا كلمة الإيمان باسقامة (أي الآباء القديسين)، وإلى رفض الذين لم يختاروا الأرثوذكسيَّة (أي الهراطقة

أصحاب البِدَع والرأي غير القويم). وهكذا نحنُ المتطلِّعين إلى الفئتين نُظهر إيماننا بالأعمال ونحصل على ثمر أتعابنا عن طريق الإيمان.

١٣) ليست الأهواء الشرِّيرة مرتبطة بعدم الإيمان فحسب، بل إنَّهما أيضًا يتشابهان فيما بينهما. وسأتكلَّم قليلًا لمحبَّتكم عن غير الأرثوذكسيِّين الذين ظهروا في عصرنا. كما أنَّ آدم تسلَّمَ القُدرة من الله أن يأكل من كُلِّ شجرةٍ في الفردوسِ، فلم يَكتَفِ بتلك كلِّها، بل أقنعته مشورة الحيَّة الشرِّيرة ليأكل من الشجرةِ الوحيدةِ التي طُلِبَ منه ألَّا يقترب منها، كذلك يحصل معنا: كما أنَّ خيرات الله وإحساناته متوفِّرة أَمَام كُلِّ الذين يريدون أن يستفيدوا منها، وفقًا لمن قال: «كُلّ ما هو لله هو للمتألِّه عن طريق النعمة دون أن يشترك في الجوهر» (قول القدّيس مكسيموس المعترف)
Pross Thalassion 22 , PG 90 ,320

بالرَّغمِ من ذلك، هناك مَن يُعَلِّم أنَّنا نشترك في الجوهر نفسه، متشبِّهين بالحيَّة رئيسة الشُّرور، مُشَوِّهين أقوال القديسين كما فعلت الحيَّة التي حرَّفت أقوال الله.

أمَّا نحنُ فبعد أن اقتبلنا قوَّةٌ من الرَّبِّ، فلنَدُسْ وَنَطَأْ على الحيَّات والعقارب، وعلى كُلِّ قوَّةٍ للعدُوّ، وبذلك سوف نُحطِّم بسهولة كُلّ مكائده وفخاخه التي ينصبها ضِدَّ الإيمان وضِدَّ السُّلوك الصَّالح. وعندما نتغلَّب على كُلِّ ذلك، نحظَى بالأكاليل السَّماويَّة غير البالية، أكاليل العدل في المسيحِ القاضي العادل والمجازي الحسن.

١٤) له ينبغي كُلُّ مجدٍ وإكرامٍ وسجود مع الآب الذي لا بدء له والرُّوح القُدُس الصالح والمحيي، الآن وكلَّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

أقوال في الصوم
للقديس باسيليوس الكبير
(٣٣٠- ٣٧٩)

القديس باسيليوس الكبير

«إنَّكَ رُبَّما لا تأكُل لحمًا لكنَّك تنهشُ أخاكَ، إنَّكَ تمتنِعُ عن شُربِ الخمر ولكنَّكَ لا تُلجِم الشَّهواتِ الحمراء التي تلتَهِبُ في نفسِكَ...» «الويلُ للذينَ تُسكِرُهم الشَّهوة وليس الخمر» (أشعيا ٥١: ٢١).

« لا تَرتجِف ولا تَخَفْ من الصوم. أَلَا يحتاج جسدُكَ إلى دواء؟ كذلكَ نفسُكَ هي بحاجةٍ أحيانًا إلى دواء. فالصوم هو دواءُ النَّفْس للتخلُّص من الخطيئة. إنَّ الخطيئة هي الجُرحُ الذي أصابَ الطبيعة البشرية حينَ خالَفَ آدمَ أمرَ الرَّبِّ في مبادىء الخليقة. ولا دواءَ يشفي الإنسان من الخطيئة إلاَّ التوبة والإرتداد إلى الله».

« الإمتناع عن الأكل فقط هو حطٌّ لكرامَةِ الصوم. المطلوب في الصوم ليس الإمتناع بواسطة الفم بل بواسطة العيون والآذان والأيدي وكُلّ الجسم. نصوم بالأيدي بالطهارة والإبتعاد عن السَّرِقَة، والأرجُل بالإبتعاد عن المشاهِد المُحرَّمة، والعيون بالإمتناع عن النظر إلى أيِّ شيءٍ يُغري».

«ما معنى أن ننقطع عن أكل اللحم ونحن لا ننقطع عن أكل لحم قريبنا بالنَّميمَة والغيبة؟ وما معنى أن نصومَ عن الأكل ونحن لا ننقطعُ عن الأفكارِ الرديئة والزنى والحِقدِ والبُغض؟».

« الصوم بالحقيقة هو رياضة المُصارعين من أجلِ نيل الظفر بالغلَبَة في الجِهادِ ضدَّ الشَّهوة واللَّذَّات، وهو زينةُ الكهنة وسلاحَهُم ضِدَّ أعداءِ الخير».

«إنَّ الصومَ الحقيقي هو الإمتناع عن كُلِّ رذيلة»: «أبعِدوا عن كُلِّ إثم» (أش ٨: ٥).

«لا تصوموا لكي تُخاصِموا، وتترافعوا لدى المحاكِم...».

«إنَّ الصومَ هو الذي يقودُ القدِّيسينَ إلى الحياةِ معَ الله».

«إنَّ الصومَ هو جناحُ الصلاةِ لترتَفِعَ إلى السماءِ وتخترِقُ إلى عرشِ الله... هو عِمادُ البيوت، حاضِنُ الصِّحَّة، ومُعلِّمُ الشَّباب، وزينةُ الشُّيوخ، وصديقُ الأرواح».

«قد تكون هناكَ أشياء كثيرة ليس فيها خطيئة ومع ذلكَ يجبُ أن نتنسَّكَ عنها إذا كان في ذلكَ رِبحٌ لنا وللآخرين. «إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُعْثِرُ أَخِي فَلَنْ آكُلَ لَحْمًا إِلَى الأَبَدِ، لِئَلاَّ أُعْثِرَ أَخِي.» (١ كورنثوس ٨: ١٣). « حَسَنٌ أَنْ لاَ تَأْكُلَ لَحْمًا وَلاَ تَشْرَبَ خَمْرًا وَلاَ شَيْئًا يُشَكِّكَ أَخَاكَ أَوْ يَعْثُرُ أَوْ يَضْعُفُ» (رومة ١٤: ٢١).

«راعي ألَّا يقتصر صيامك على الإمتناع عن اللحوم. إنَّ الصِّيام الحقيقي هو تَجَنُّبُ الرَّذيلة. مَزِّقْ كُلَّ عقودِكَ الظالِمة إلى قِطَعٍ صغيرة. إغْفِرْ للقريب. سامِحهُم عن تَعدِّياتِهم».

رسالة يوحنا رئيس دير رايثو
إلى يوحنا الجليل (السُّلّمي) رئيس دير جبل سيناء

من يوحنا الخاطىء رئيس دير رايثو

إلى أبي الآباء الرَّفيع المقام، المعادل الملائكة والمعلّم الفذّ، سلامٌ من الرَّبِّ، أمّا بعد:

فإنّي أنا الفقير أعرف الطَّاعة التي زَيَّنَكَ بها اللهُ، طاعةٌ تمتدُّ إلى سائر الميادين على اختلافها، وَتُجَمِّلُهَا كُلّ أنواع الفضائل، وتَتَجَلَّى خاصَّةً إذا ما اقتضَى استثمار الوزنة التي مَنَحَكَ إيَّاها الرَّبُّ.

ولذا أتجاسَرُ فأُوَجِّهُ إليكَ التماسًا متواضعًا، عالمًا بأنَّهُ قد كُتِبَ: «سَلْ أَبَاكَ يُعَلِّمُكَ ومشايخك يحدّثونك» (تثنية ٣٢:٧). فأنتَ أبونا جميعًا وشَيخُنا واكبرنا كافَّةً بالنُّسكِ والفطنة، وأكثر المعلّمين أَهَلِّيَةً وَمَقْدِرَةً: فأَلجأُ إليكَ بهذه الأسطُر متوسِّلًا إلى فضيلتك الرَّاجحة ان تكتُب لنا ما شاهدتَ في مُعاينتك للهِ عَزَّ وَجَلّ على غرار موسى قديمًا وفي الجبل عينه، وتُوافينا بِمُصَنَّفٍ يكونُ لنا بمثَابَةِ لوحَي الشَّريعة المكتوبين منه تعالى لتعليم «إسرائيل الجديد» الخارجِ حديثًا من مصرَ الرُّوحِيَّة، ومن بحر الاهتمامات الأرضيَّة. وما دُمتَ قد سبقتَ، في إثر اللهِ، وأجريتَ عجائب على هذا البحر، مستخدمًا عِوَضَ عصا موسى لِسَانَكَ المُلهَم من اللهِ، لا تأنَف الآن ان تعرض وتشرح بانتظامٍ واجتهاد ما هو لازمٌ للسِّيرةِ الرَّهابنيَّة وموافقٌ في الرَّبِّ لخلاصنا، كمُرشدٍ فاضل لجميع الذين يعيشون هذه الحياة الملائكيَّة.

لا تظنُّ أنِّي بهذا أتملَّقُكَ أو أُجاملُكَ بل ثِقّ، ياذا الرِّفْعَةِ المقدَّسَةِ حقًّا، أنَّ هذا القول غيرُ صادرٍ عنِّي ولكنه قول الناس جميعًا.

إذًا لي رجاءٌ في الرَّبِّ أَنْ نَتَسَلَّمَ قريبًا، منقوشةٌ على ألواحٍ، تلك الأحرف الثمينة، موضوع انتظارنا، التي سوفَ تكون دليلًا أمينًا وسديدًا للذينَ يسلكونَ بمقتضاها، وَسُلَّمًا منصوبة حتى أبواب السَّماء تتيح للذين يختارونها صعودًا لا خطر فيه، وَتَعْبُر بِهم سالمين أرواح الخباثة، رؤساء هذا الدَّهر المُظلم وسلاطين الهواء. فإنْ كانت سُلَّم يعقوب راعي الغنم غير الناطقة قد صارت موضوع تلك الرُّؤيا الرَّهيبة، فَكَم بالحريّ يجب ان نتوقَّع من راعي رُضَّع ناطقين ان يُرينا، ليس فقط في الرُّؤيا بل بالعملِ والحقِّ، الطريق الآمنة للصعودِ إلى اللهِ.

كُنْ مُعافى في الرَّبِّ أيُّها الأبُ المُوقَّر

رسالة يوحنا الجليل (السُّلّمي) إلى يوحنا رئيس دير رايثو

تسلَّمتُ الرِّسالة النفيسة اللَّائقة حقًّا بحياتِكَ الجليلة العادمة الهوى وبقلبك الطَّاهر المُتَّضِع، وقد بعثتَ بها إلَيَّ أنا المُعوَز والفقير إلى الفضائل، وبعبارةٍ أوضح تسلَّمتُ إيعازِكَ وأمرِكَ الذي يفوقُ قدرتي ...

هو أنتَ، هي نفسُكَ المُقَدَّسة تنجَلِي في هذا الطلب المُوَجَّه إلى جهلي وإلى عجزي قولًا وفعلًا عن كتابةِ مقالٍ للتعليمِ والوَعظِ: فأَنتَ قد اعتدتَ أن تُقَدِّم لنا في شَخصِكَ دائمًا مثالًا للتواضُع. أمَّا فيما يخصُّني فإنِّي لولا خوفي من التملّص من نير الطَّاعةِ المقدَّسة، أُمَّ سائرِ الفضائل، لمَا كنتُ تجرَّأتُ، بخلافِ المنطق السَّليم، على خوضِ مهمَّةٍ تُجاوز طاقتي. فكانَ عليكَ أيُّها الأبُ المُوَقَّر، كان عليكَ أن

تلجأ إلى أهل الخبرة للإفادةِ في هذا المجال. أمَّا أنا فمرتبتي بين الذين لا يزالون يتعلَّمون.

ولكن ما دامَ آباؤنا المتوشِّحونَ باللهِ والعالمون بالعلمِ الحقيقي قد حدَّدوا الطَّاعة بأنَّها «خضوعٌ للرُّؤَساءِ، بلاتردُّدٍ، في ما يفوقُ قِوَانَا» فقد عزمتُ، غيرُ حاسِبٍ حسابًا لِضَعفِي، على القيامِ بَنَوِيًّا وباتِضَاعٍ بذلك العمل الذي يتجاوزني. هذا ليسَ طبعًا لِأَمُدَّك بأيَّةِ فائدة أو أَشرح لكَ شيئًا أيًّا كان، يا ذا السمُّو المُقَدَّس، في هذه المواضيع التي لا تنقص عنِّي بشيء في الإحاطَةِ بها. لأنَّ عين ذهنك - **في قناعتي وقناعة كُلّ انسانٍ سليم التفكير على ما اعتقد** - قد تَنَقَّتْ من كُلِّ ما هو أرضيّ وكُلّ ما من شأنهَ أن يُظلمها، وأَدرَكَتْ النُّور الإلهي دونَ عائق واستنارت بهِ. ولكني إذ أخشى الموت الناتج عن عدم الطَّاعةِ والذي يضطرّني إليها إذا صَحَّ القول، انتهيت إلى الانصياع لأمرِكَ الجليل كعبدٍ طَيِّع، بخوفٍ ومحبَّةٍ في آنٍ. وكخادمٍ بَطَّال لرَسَّامٍ فَذّ اكتفيتُ إذًا بأن أَخُطَّ بالحبر فقط، بعلمي الهزيل غير المبني على العمل، وبكلامي المتلعثم، خطوطًا باهتة لأقوالٍ حيَّة. وسيعودُ إليكَ، أنتَ أوَّل المعلِّمين وكبيرهم، ان تُجَمِّل العمل غير الناجز وتُوَضِّح معالِمَهُ وتنجز ألواح الشَّريعة الرُّوحيَّة متدارِكًا نواقصها.

وعلى كُلِّ حال لستُ موجِّهًا عملي إليكَ، وإلَّا لكانت سذاجةٌ قُصوى! إذْ انَّكَ تمتلك في الرَّبِّ كُلّ ما يلزم لِتُثَبِّت لا الآخرين فقط بل أنا أيضًا في سيرةٍ مُطابقة للتعاليم الإلهيَّة. إنَّما أُوَجِّهه إلى شَرَكة الرُّهبان المختارة من اللهِ التي تثقَّفت بتعاليمكَ مثلي، يا أفضَل أفضَل المعلِّمين. ولمَّا كانت صلواتهم وصلواتك ترفعني فوق عجزي، وتدفعني برياح الرَّجاء الرُّوحي، فإنِّي أبسُط شراع قلمي وأُسَلِّم دفَّة مقالي إلى ربَّنا الإلهي، وبصلاةٍ لجوجة أقوم بهذا العمل من أجلهم وبناءً على حثِّك انتَ لي. هذا وأنِّي أرجو كُلّ مَن يُطالع هذه الصفحات، إذا وَجَدَ فيها شيئًا مُفيدًا، أن يعزو ثمارها بعدلٍ إلى رئيسنا الفاضل. وليسأَل الله أيضًا أن يُكافئني على قيامي بهذا العمل لا غير، ليسَ بسبب فحواه – فإنَّه خسيس ومملوء جهلًا كثيرًا – بل بارتضائه قصد مَن يُقرِّبه للرَّبِّ. لأنَّ الله لا يقيس الأجر على وفرة القرابين وكثافة الأعمال، بل على مروءةِ العزمِ والقصدِ.

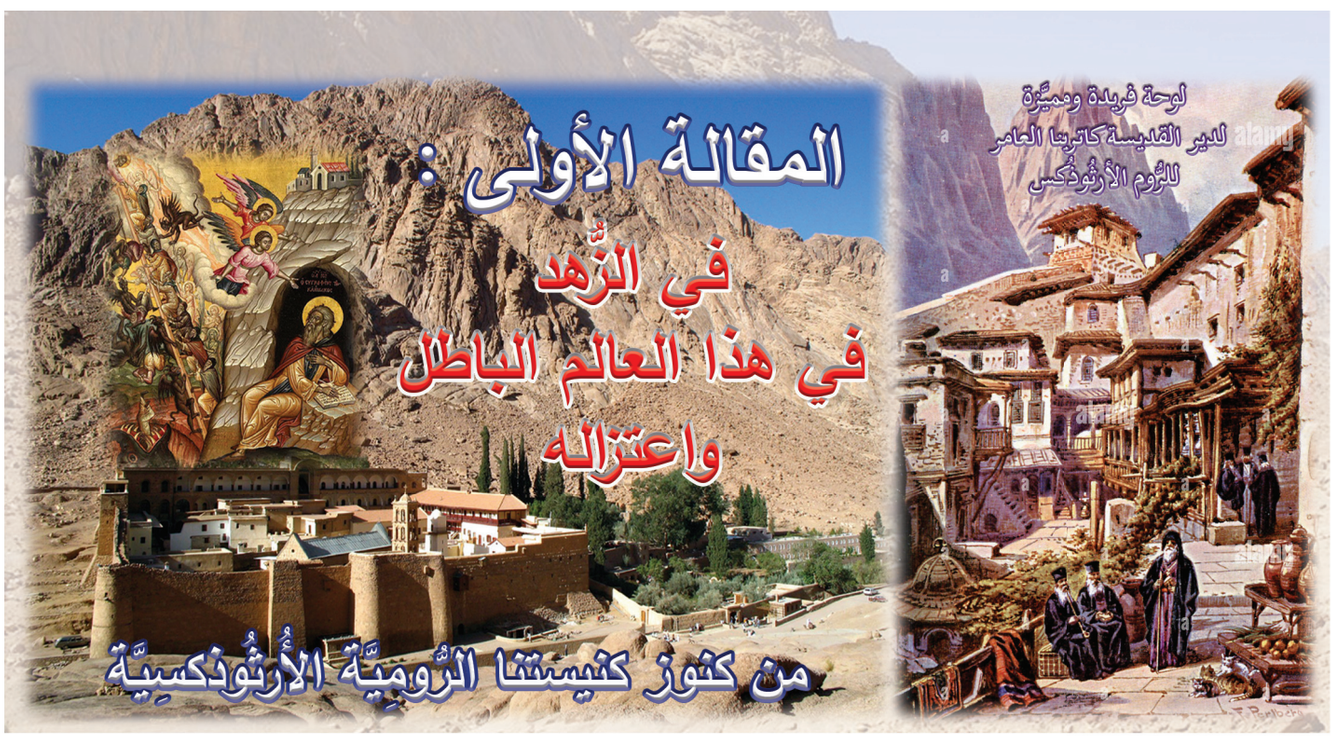

المقالة الأولى
في الزهد
في هذا العالم الباطل واعتزاله

١) – لما كان إلهنا وملكنا الصالح بل والكليّ الصَّلاح والفائق الصَّلاح (إذ يحسن أن نستهل كلامنا بذكر اللهِ ما دُمنا نكتب إلى خُدَّامِ اللهِ) قد حَبَا وَكرَّم سائر خلائقه النَّاطقة، من ملائكة وبشر، بِشَرَفِ الحُريَّةِ الذاتيَّةِ (١). فأنَّنَا نَرى فيهم مَنْ هُم أحباؤُه، ومَن هُم له خُدَّامٌ مُخلصون، أو عبيدٌ بطَّالون وعاطلون، ومَن هُم بعيدون وَغُرباء عنه بالكليَّة والتَّمام، ومَن هُم رغم ضعفهم معاندون له.

(١): الحريَّة الذَّاتيَّة – **في مفهوم القديس غريغوريوس النيصي** – هي إرادة النفس النَّاطقة التي تتحرَّك بدافعها الذَّاتي إلى كُلِّ ما ترغبه من الصالحات فقط. يقول: «إنَّنَا بالأفكار الصَّالحة نسحق دائمًا فكرة الشَّرِّ». فالسلطة أو الحُريَّة الذَّاتيَّة إذن هي الحركة العَقليَّة للنفسِ الضَّابطة ذاتها. أمَّا الحيوانات فليس لها سلطة ذاتيَّة، وإنَّما تندفع بِحُكمِ غريزتها وراء الشَّهوة الطبيعيَّة دون تردُّد. أمَّا الإنسان فَيُسَيِّر طبيعته، غير منقاد بالشَّهوةِ التي يتوقَّف عليه رَبْطُها أو حلُّها. فالبهائم بعكس الإنسان لا تُمدَح ولا تُذَمّ.»

أمَّا أحباؤُه، فأقصد بهم، أنا الحقير، أيُّها الرئيس الجليل، الجواهر العقليِّين العادمي الأجساد المُحتَفين به. **وأمَّا خُدَّام المخلصون** فهُم الذين عملوا ويعملون مشيئته االمقدسة بدون كسَلٍ أو تقصير. **وأمَّا**

خُدّام البطّالون فهُم الذين يظنون أنّهم أُهّلوا لمعموديتة الإلهيّة ، لكنهم نكثوا العهود التي قطعوها على أنفسهم حينذاك أمام الرَّبِّ. **وأما الغُرباء وأعداء** اللهِ أعني بهم غير المعتمدين أو السَّيِّئُو الإيمان أو الهراطقة. **وامّا المحاربون** للهِ فهُم الذين لا يكتفون برفض وصايا الرَّبِّ بل يعمدون أيضًا إلى مُحاربة العاملين بها محاربة شديدة وقاسية.

٢) – وبما أنَّ كُلًّا من الفئات السَّابق ذكرها تستوجب إفراد بحثٍ خاص بها، فلا يوافقنا نحنُ الجهلة أنع نتورَّط في تناولها كلّها بالشَّرحِ والتفنيد. ولذلك دعونا بالحريّ نذعن للطاعة ونمدّ يدنا العاجزة إلى فئة خُدَّام اللهِ المخلصين الذين يقتسروننا بتقواهم ويضطروننا بثقتهم فنتسلم قلم الكلام من معرفتهم ونغمّسه في حبر تواضعهن الخاشع والمُشرق معًا ونُسَطِّر على قلوبهم البيضاء النقيَّة الإلهيَّة، وكأنَّنَا لا نُسَطرها على رقوق بل على ألواحٍ روحِيَّةٍ فنقول:

٣) – اللهُ هو لجميع الذين يختارونه. وكذلك الحياة والخلاص فَهُما لجميع الناس، مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين، عادلين أو ظالمين، اتقياء أو كافرين، خطأة أو صدِّيقين، رُهبانًا أو علمانيِّين، حُكماء أو بُسطاء، أَصِحَّاء أو مرضَى، احداثًا أو شيوخًا، وذلك على غرار اندفاق النُّور وشروق الشَّمس وتوالي فصول السنة من أجل الناس كافة على السَّواءِ. نعم وليسَ الأمرُ على خلاف ذلك، لأنَّهُ: « لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ.» (رو٢: ١١).

٤) – فالكافرُ كائنٌ ذو نفسٍ ناطقة وطبيعةٍ فانية يُقصي ذاتَهُ بِذاتِهِ عن الحياة باختياره إذْ يحسب أنَّ خالقه الأزلي غير موجود. والمتعدِّي الشريعة هو من يُحرِّف شريعة الله طِبقًا لفساد بصيرته، ويبتدع ما يُضاده تعالى ظانًا أنَّهُ يؤمن بِهِ. والمسيحي هو من يتشبَّه بالمسيح في أقواله وأفعاله وأفكاره قدر استطاعة الانسان ويؤمن بالثَّالوث الأقدس إيمانًا قويمًا خاليًا من العيبِ. والمُحب الله هو من يُحسن استعمال الخيرات الطبيعيَّة، ولا يتوانى في عمل الصالحات قدر طاقته. والضَّابط هواه هو الذي يُحاول بِكُلِّ قوَّتِهِ، في وسط التجارب والمكايد والقلاقل، أن يُماثل حال الذين لا يُبالون ولا ينفعلون في القلاقل. والرَّاهب هو من يحقِّق، في جسد مادي هيولي وَسِخْ، رتبة العادِمي الأجساد وسيرتهم. الرَّاهب هو الحافظ وصايا الله وحدها في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ وعمل. الرَّاهب هو الذي لا يكفّ عن كبح طبيعته وحفظ حواسه. الرَّاهب جسدٌ عفيف وَفَمٌ طاهر وذهنٌ مستنير. الرَّاهب نفس حزينة لا تنفكّ تلهج بالموت في النومِ واليقظة. واعتزال العالم هو مَقتْ طوعي وجحود للطبيعة لأجل البلوغ إلى ما يفوق الطبيعة.

٥) – إنَّ جميع الذين بادروا إلى الزُّهدِ في العالم لا بُدَّ أنَّهم زهدوا فيه إمَّ في سبيل الملكوت الآتي أو لكثرة خطاياهم أو حُبًّا باللهِ. وإنْ كان اعتزالهم العالم ناجمًا عن سببٍ آخر فهو اعتزال أحمق. غير أنَّ إلهنا الصَّالح واضع هذا الجهاد ينتظر نهاية سَعيهم ليحكم عليه.

٦) – مَن اعتزل العالم لكي يُزيل عنه حمل خطاياه فليُماثِلَنَّ الجالسين بين المقابر خارج المدينة، ولا يَكُفَنَّ عن سَكب الدُّموع السَّخينة وعويل القلب الخفيّ حتى يرى يسوع آتيًا إليه ومُدَحْرِجًا عن قلبه حجر القساوة، وحالًّا لِعَازَرَ عقله من جدائل خطاياه وموعزًا إلى خُدَّامه الملائكة بأن يحلُّوه من أهوائِهِ ويدعوه يمضي إلى اللَّاهوى المُبَارَك، وإلَّا فلا يكون قد انتفع من تركه العالم شيئًا.

٧) – نحنُ الرَّاغبين في الخروجِ من مصرَ هربًا من وجه فرعون نحتاج حتمًا بعد اللهِ إلى موسى آخر يتوَسَّط لنا عند الله فيقف بين العمل والتأمُّل، ويرفع يديه من أجلنا إلى أن نعبر بإرشادِهِ بحر خطايانا ونهزم عماليق اهوائنا. فالذين يتَّكلُون على أنفسهم ويتوَهَّمون أنَّهم لا يحتاجون إلى مُرشِدٍ يُرشدهم هم مخدوعون. إنَّ الذين خرجوا من مصرَ قد اتَّخذوا موسى مُرشِدًا لهم، والذين هربوا من سدوم كان الملاك هاديهم. فالذين يسعون إلى شفاء أهواء النفس بعناية الاطباء يُمَثِّلون الخارجين من مصرَ. أمَّا الهاربون من سدوم فهم المُتَوخُّون استخراج نجاسة الجسد، ولذا هم بحاجة إلى ملاك، أعني إلى إنسان معادل لملاك لكي يعينهم. لأنَّنَا بمقدارِ ما يزداد تقيُّح جروحنا نحتاجُ إلى طبيبٍ أكثر مهارة.

٨) – إنَّ الذين يعتزمُون الصُّعود إلى السَّماءِ بأجسادهم، يلزمهم بالحقيقة اقتسار ذواتهم وتكليفها آلامًا متواصلة، لا سيِّما في بدء زُهدِهم، إلى أن يتحوَّل خُلقنا المُحِبّ اللَّذة وقلبنا الفاقد الإحساس إلى خُلُقٍ عفيفٍ ومحبٍ للهِ نتيجة توبَةٍ صادقةٍ. لأنَّها في الحقيقة مشقَّة كبيرة وكبيرة جدًّا ومرارة لا تُحتمل، لا سيِّما للعائشين منَّا في التواني والكَسَل، إلى أن نجعل ذهننا، ذاك الكلب الشغوف بفضلاتِ اللحوم لدى أبواب القَصَّابين، مُحِبًّا للعفَّةِ ولمُراقبة الذَّات عن طريقِ روح البساطة وعدم الغضب بتاتًا والاجتهاد. أمَّا نحنُ معشر الضعفاء المُستعبَدين للأهواءِ، فلنتشَجَّع ونعترف للمسيح بضعفنا وعجزنا بإيمان غير مُرتاب، فنحصُل على معونته بالتأكيد أكثر ممَّا نستحقّ، اللَّهُمَّ إذا تواضعنا باستمرار إلى قعر التواضع.

٩) – لِيَعْلَم جميع الذين يدخلون هذا الجهاد الصَّالح، الذي هو قاسٍ وصعب وفي الوقتِ نفسه سَهلٌ، أنَّهم إنَّما يُقْدِمُونَ على القفزِ في النَّارِ إن كانوا يُريدون أن تَسكُن فيهم النَّار الرُّوحيَّة. فليمتحن إذًا كُلُّ واحدٍ ذاته، ثمَّ يأكل خُبز الزُّهد المعجون بالمرارة، ويشرب كأسه الممزوجة بالعبرات، لئَلَّا يجلب على نفسه الدينونة. إنْ كانَ المُعَمَّدون لا يَخلُصون جميعهم بالضرورة، فسأصمتُ عن الرُّهبان.

١٠) – على الذين يتقدمون إلى هذه السيرة أن يجحدوا كُلّ شيء، ويستهينوا بكُلِّ شيء، ويَهزَأوا بِكُلِّ شيء، ويَطرحوا عنهم كُلَّ شيء، لكيما يَضعوا أساسًا صالحًا. والأساس الصالح المثلَّث الركائز هو: الإقلاع عن الشَّرِّ، والصوم، والاعتدال. فليبتدئ الذين ما زالوا أطفالًا في المسيح، بممارسةِ هذه الفضائل الثلاث مُقتدين بالأطفال. فإنَّه ليسَ عند هؤلاء شَرٌّ أو خداع، وليسَ عندهم نَهَمٌ أو تُخمة، ولا جسد بهيمي مُلتهب بالشَّهوة، إذ إنَّهم لا يُريدون غذاءهم إلَّا بقدر ما يحتاج نمُوّهم إلى حرارة.

يتبع بالعدد القادم

في الإيمان

فضيلة الإيمان – الذي لا يعتقدُ بتقليد الكنيسة الشَّريف، أو يعيش عيشة رديئة هو غير مُؤمن.

والإيمان على نوعين:–

الإيمان من السَّماع « إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ.» (رو ١٠:١٧). فنحنُ بإصغائنا إلى الكُتُبِ الإلهيَّةِ، نؤمن بتعليم الرُّوح القُدُس. وهذا يتمُّ متى آمنَّا فعلًا بجميع الشَّرائع التي وضعها المسيح، وكانت التَّقوَى رائدنَا، ثمَّ عملنا بوصايا من أعادَ تجديدنا. والذي لا يُؤمن بمقتضَى تقليد الكنيسة الجامعة أو يشترك مع **إبليس** في أعماله الشِّريرة، هو غير مؤمن.

والإيمان عطيَّة الرُّوح:–

و «الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى.» (عبرانيين ١١:١). وهو رجاءٌ بلا ريبٍ ولا جَدَلٍ في ما أعلنه الله لنا وفي استجابة طلباتنا، أَوَّلُهُمَا من وحي ضميرنا، والثَّاني من مواهب الرُّوح.

الختان الرُّوحيّ:–

واعلم أنَّنا بالمعموديَّة نختن كُلّ حاجزٍ قام منذ تكويننا أعني به الخطيئة ونُصبحُ **إسرائيليّين روحيّين** وشعبَ الله.

في الصليب ثمَّ في الإيمان أيضًا

لا يمكن فهم خَلق الكائنات بالتفكير البشريّ. – الإيمان ضرورة عامَّة. – ما هو الإيمان:–

«فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ» (١ كور ١:١٨)، «وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١ كور ٢:١٥)، «وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ (الحيواني) لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ» (١ كور ٢:١٤). فإنَّها لجهالةٌ عند الذين لا يقتبلُون ذلك بإيمانٍ ويُشَكِّكُونَ في صلاحِ اللهِ واقتدارِهِ العامّ، بل يُدَقِّقُون في بحث الإلهيَّات بأفكارٍ بشريَّة وطبيعيَّة، لأنَّ كُلّ ما يتعلَّق باللهِ هو فوق الطبيعة والنُطق والتفكير. فإذا تساءَلَ أحدهم كيفَ وبماذا ولماذا أخرجَ اللهُ كُلَّ شيءٍ من العدمِ إلى الوجودِ، وأرادَ أن يُعَبِّر عن ذلك بأفكارٍ طبيعيَّة، فهو لا يستوعبُه وتكونُ معرفته نفسها طبيعيَّة **وشيطانيَّة**. أمَّا اذا انقادَ على هَدي الإيمان وفَكَّرَ بأنَّ الإلهَ صالحٌ وقديرٌ وصادقٌ وحكيمٌ وعادلٌ، فهو يرى كُلّ شيء سهلًا ومُمَهَّدًا، والسبيل إليه رَحْبًا. فإنَّهُ لا يُمكن الخلاص بدون الإيمان. وبالإيمان يقومُ كُلّ شيء، بشَريًّا كانَ أم روحِيًّا. لأنَّ الفلَّاح بدون إيمان لا يشقّ أرضًا إلى أتلامٍ ولا التَّاجرُ بدون إيمان يزجُّ بنفسه على خشبة صغيرة في لجَّة البحر الهائج، ولا الزَّواجَات تقوم، ولا أي شيءٍآخر ممَّا في الحياة. فبالإيمانِ نفهم خروج كُلّ شيءٍ من العَدَمِ إلى الوجودِ بقوَّةِ اللهِ، وبالإيمان نُقَدِّر كُلّ الإلهيَّات والبَشريَّات قدْرها. فإنَّ الإيمان اقتناع لا يتخلَّله أبحاث فارغة !

ليسَ من شيء أعجب من صليب المسيح. فوائده:–

إذًا فكُلّ أعمال المسيح ومعجزاته عظيمةٍ جدًّا وإلهيَّة وعجيبة. بيدَ أنَّ أَعجبَها كلّها **صليبُه الكريم**. فلولاه لما بَطُلَ الموت أبدًا ولا انحلَّت خطيئة أبينا الأوّل ولا سُلِبَ الجحيم ولا مُنِحَت القيامة ولا أُعطِيَت لنا قوَّة لاحتقار الأشياء الحاضرة والموت نفسه ولا تمهَّدَ السبيل للعودَةِ إلى السعادة القديمة ولا فُتِحَتْ أبواب الفردوس وجلَسَتْ طبيعتُنا إلى ميامن الله، ولا صُرنا أبناءَ الله وورثته، لولا كانَ **بصليبِ ربّنا يسوع المسيح**، لأنَّ كُلّ شيء قد اصطلح بالصليب. ولذا فإنَّ الرسول يقول: «أَنَّ كُلَّ مَنِ اصطَبَغَ مِنَّا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اصطَبَغَ فِي مَوْتِهِ» (رو ٦:٣). و «نَحْنُ جُمْلَةً مَنِ اعْتَمَدْنا فِي الْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْنا الْمَسِيحَ» (غلاطية ٣:٢٧)، و «بِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.» (١ كور ١:٢٤). فهُوَذا موت المسيح – أي صليبه – قد أَلبَسَنا حكمة الله وقوَّته الأقنوميَّة. والكلمة، كلمة الصليب، هو قوَّة الله، ذلك لأنَّهُ اقتدار الله، ولأنَّهُ انتَصَرَ على الموت وبه ظَهَرَ لنا، ولأنَّهُ – على نحو ما أنَّ أطرَاف الصليب الأربعة ترتبط وتَشتَدُّ في نقطها الوسطى –، كذلك، بقوَّةِ اللهِ، يجتمع العلوُّ والعمقُ والطولُ والعرضُ أي الخليقة كلّها، ما يُرى وما لا يُرى.

إشارة الصليب تمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين:-

والصليبُ قد أُعطِيَ لنا سِمَةً على جبهتنا، على نحو ما دُفِعَت الختانة لإسرائيل. والمؤمنون يتميَّزون بواسطتها من غير المؤمنين فنعرفهم. وهو ترسٌ وسلاحٌ وفوزٌ ضِدَّ إبليس، وهو ختمٌ كي لا يَمسَّهُ مبيدُ الكلّ، كما يقول الكتاب. وهو نهوض السَّاقطين وَسَنَدُ الواقفين وَعُكَّاز الضُّعفاء وعصا الرُّعاة وإرشاد المرتدِّين وكمال الفائزين. وهو خلاصٌ للنَّفسِ والجَسَدِ، وتنقيةٌ من كُلِّ الشُّرور ومجلبةٌ لكُلِّ الخيرات، وإزالةُ الخطيئة ونبتُ القيامة وعودُ الحياة الأبديَّة.

السجود لعود الصليب ولسائر ما قدَّسه المسيح بلمسه إيَّاه:-

إذًا فيجب السُّجود للعودِ الكريمِ حقًّا والمستحقّ الإكرام الذي قرَّبَ عليه المسيحُ ذاته مذبوحًا لأجلنا، وقد تقدَّسَ بِلَمْسِهِ الجسَدَ والدَّمَ الأقدَسَيْن. ويجب السُّجود أيضًا للمسامير والحربة وثيابه، ولمساكنه التي هي: المذودُ والمغارةُ والجلجلةُ وقبرُه الخلاصيّ المُحيي ولصهيون أُمّ الكنائس ولأمثالها، على ما يقول داود أبو لمسيح إلهنا: «لِنَدْخُل إِلَى مَسَاكِنِ الرَّبِّ وَلْنَسجُد لِمَوْطِئِ قَدَمَيهِ» (مز ١٣١: ٧). والبرهان على أنَّهُ يعني بذلك الصليب، يُؤْخَذ ممَّا يأتي: «قُمْ أَيُّها الرَّبُّ إِلَى رَاحَتِكَ» (مز ١٣١: ٨)، لأنَّ القيامة تتبع الصليب. فإذا كان الحبيبُ يحبُّ مِنْ محبوبه بيته وسريره ولباسَهُ، فكَم بالأحرى كثيرًا يجب أنْ نُحِبَّ – من إلهنا ومخلِّصنا – ما بواسطته صرنا مُخلَّصين!

يجب السجود لرسم الصليب، على أنَّهُ شَارة المسيح ، ولا ينبغي السجود لمادَّةِ الصليب:-

ونحنُ نسجدُ أيضًا لرَسمِ الصليب الكريمِ المحيي وَلَوْ كان من مادَّةٍ أُخرى، لأنَّنا لا نُكَرِّم المادَّة، حاشا! بَل الرَّسم، على أنَّهُ رمزُ المسيح. وقد قالَ هو بِوَصِيَّتِهِ لتلاميذِهِ: «وحينئِذٍ تَظهَرُ علامةُ ابن البَشَر فِي السَّماءِ» (متى ٢٤: ٣٠). – دالًّا بذلك على الصليب – لذلك قال أيضًا ملاك القيامة للنِّسْوَةِ: «إِنَّكُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيّ المَصلُوب» (مرقس ١٦: ٦). لإنَّ كثيرين هُم الذين يَتَكَنُّون بالمسيحِ وبيسوع، ولكنَّ المصلوب واحد. وهو لم يَقُل: **المطعون بحَربَةٍ**، بل **المصلوب**. وعليه يجب السجود لعلامة المسيح، لأنَّه حيثما تكون العلامة يكون هو نفسه أيضًا. أَمَّا المادَّة المعمول منها رَسمُ الصليب، ذهَبًا كانت أم حجارة كريمة، فاذا حدثَ أنْ زالَ الرَّسم، لا ينبغي لها السجود. وعليه فإنَّنا نسجُد لِكُلِّ ما يُنسَب لله. مُركِّزين عبادتنا عليه.

إنَّ عود الحياة رمزٌ للصليبِ:-

– إنَّ عود الحياة – ذاكَ الذي قد غرسه الله في الفردوس – كان قد سَبَقَ وَرَمَزَ إلى الصليبِ الكريم. فلمَّا دَخَلَ الموت إلينا بالعودِ، وَجَبَ أنْ تُعطَى لنا بالعودِ الحياة والقيامة. ويعقوب الأوّل أب الآباء، لمَّا سَجَدَ لرأس عصا يوسُف ابنه، قد صَوَّر الصليب، ولمَّا بارَكَ ولَديْهِ بيديهِ المتعارِضَتين، رَسَمَ علامة الصليب رسمًا جَلِيًّا جدًّا. (يعقوب بارَكَ ابناء يوسف «أفرام ومنَسَّى»– انظر تكوين اصحاح ٤٨)، وإنَّ عصا موسى – بِضَربِ البَحرِ بها بشكلِ صليب – أنقذت إسرائيل وغَرَّقت فرعون. وأنَّ يديه (يدي موسى) المبسوطتين على شَكلِ صليب قَهَرَتَا عماليق. – والماء المُرّ قد صارَ حُلوًا بالعودِ وانفَلَقت الصخرة وجرت منها المياه – وإنَّ عصًا أيضًا قد احتفظت لهارون برئاسَةِ الكهنوت. والحيَّة لمَّا رُفِعَت على عودٍ وقد بَدَت مائتة، خَلَّصَ العود أولئك المؤمنين الناظرين إلى عدوِّهم مائتًا. ذلك على مثال المسيح الذي لَمْ يعرفْ خطيئة وقد سُمِّرَ بجسد الخطيئة. لذلك صَرَخَ موسى العظيم قائلًا: «انظروا إلى حياتكم على عودٍ مُعلَّقة تُجاه أعينكم» (تثنية ٢٨: ٦٦). وقالَ أشعياء : «بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ.» (أشعياء ٦٥: ٢). أمَّا نحنُ السَّاجدين له عسَانا نَحظَى بالنَّصيبِ مع المسيحِ المصلوب!

من أقوال القديس يوحنَّا الذهبيّ الفم عن الصدقة

«الإنسان المحكوم عليه بالموت أَلَا يدفع أمواله لِيَنجُو من هذه المحنة؟ إذًا أَلَا تَدفع شيئًا لِتَنْجُو من الموتِ الأبدي، وستُعاين فيض النِّعمة التي تتقاطر عليكَ من لَدُنِ الرَّبِّ !!!».

«العطاء المقرون بسرِّ الإفخارستيَّا يُدعى: غذاء المحبَّة، فالمُعطي على هذه الصُّورة يُؤَدِّي خدمةً كهنوتيَّة على مذبحٍ، هذا المذبح الحيّ يمكن أن يراه ويُشاهده أحدنا كُلَّ حين: في الشَّوارع، في الأزقة، في السَّاحات، أمام الكنائس،... فذبيحة المحبَّة هذه صارت تُقام في كُلِّ وقتٍ وأينما كان. »

أَيْنَمَا يرى رُعاةُ الأغنام أيّ مرعى كبير ووفير، فإنَّهم يذهبون باستمرار بأغنامهم إليهِ، ولا يتركونه حتى تأكل قطعانهم كُلّ ما به. إذًا فَأَنَا أيضًا أقتَدِي بهم، ولِرابعِ يومٍ أرعَى هذه الرعيَّة في موضوع التوبة، ولا أريد اليوم أيضًا أن أنتقل من هذا الموضوع، لأنَّني أرى أنَّ المرعى لا يزال غنيًّا جدًّا والفرح عظيمٌ وكذلك أيضًا المنفعة. وحقًّا فإنَّه كما أنَّ الأغنام لا تستريح في وقت القيلولة إلَّا تحتَ ظلِّ الأشجار المورِقَة، وبذلك تنال الظِّل المنشود والنافع لكي تستريح وتنام بفرحٍ عظيم، كذلك فإنَّ الكلمة الإلهيَّة تُحيِي وتُنعِش النُّفوس التي تتألَّم ويسود الحزن عليها، فهي تُبعد نار وشدَّة الألم، وتمنح عزاءً أكثر حلاوةً وبهجةً من كُلِّ ظِلٍّ. لأنَّ الكلمة الإلهيَّة تمنح عزاءً عظيمًا ليس فقط في حالة الخسائر الماديَّة، أو فقدان الأبناء، أو أي أمورٍ أُخرى مُشابهة، ولكن أيضًا في حالة الخطايا. إذًا فحينما تسود الخطيَّة على الإنسان وَتتفَوَّق عليه وتُسقطه، ثُمَّ بعد ذلك يأتي إليه الضمير ويذكّره دائمًا بالخطيَّة، فإنَّه يختنق من الحزنِ الشديدِ ويحترق كُلّ يوم، وبينما الكثيرون يواسونه إلَّا أنَّهُ يبقى بدونِ عزاء، فإذا أتى إلى الكنيسة وسَمِعَ أنَّ كثيرين من القديسين قاموا ونهضوا بعد سقوطهم ورجعوا مرَّة أُخرى إلى نجاحهم السَّابق، فإنَّه يُغادر الكنيسة بعدما ينال عزاءً لا يُدرَك. وفي مرَّاتٍ عديدة حينما نُخطىء لا يكون لدينا القوَّة لكي نُظهر خطأنا للناسِ، وذلك بسبب شعورنا بالخجلِ، ولكنِّنا حتى ولو أظهرنا ذلك الخطأ فإنَّنا لا نستفدُ كثيرًا، ولكن حينما يُعزِّينا الله ويلمس قلوبنا، يهرب كُلّ حزن **شيطاني**. ولأجل ذلك فإنَّ سَقطات الأبرار مكتوبة لأجلنا، كي ينتفع جدًّا من ذلك الساقطين والأبرار أيضًا. أنَّ الذي يُخطىء، حينما يرى أنَّ شخصًا آخَرَ سقطَ واستطاعَ أنْ ينهَض مرَّةً أُخرى، لا يسود عليه القنوط واليأس، في حين أنَّ ذاكَ الذي يُمارس الفضيلة سيكون أكثر جديَّة وأكثر تأمينًا. أي أنَّهُ حينما يرى أنَّ كثيرين، مَنْ هُم أفضَل منه قد سقطوا، فإنَّه يكون حكيمًا وأكثر انتباهًا خوفًا من أن يسقط في الخطيئة مثل ذاك. ولذلك سيلجأ للجهاد المستمرّ، وسيضبط نفسه ويراقبها بصورةٍ كبيرة.

كذلك فإنَّ الذي يُمارس الفضيلة، سيعمل بأكثر وقاية وحرصٍ للحفاظ على نفسه من السقوط؛ بينما ذاك الذي يُخطىء، فإنَّهُ بعدما يتخَلَّص من اليأسِ سيعود حالًا إلى النقطة التي سَقَطَ عندها. لأنَّنا حينما نكون حزانى ويُواسينا إنسانٌ ونُظهر أنَّنا تعزَّينا لفترةٍ قليلة، فإنَّنا نَسقُط مرَّةً أُخرى في نفس حُزنِنَا، ولكن حينما يُعَزِّينا الله بهؤلاء الذين سَقَطُوا وتابوا وَخَلُصُوا، فإنَّهُ يُظهر صَلاحه، فنقبل عزاءً مؤكَّدًا ومضمونًا لكي لا نَشكّ من جهة خَلاصنا.

١) إذًا وكما هو يحدث تمامًا في حالات الخطيَّة، هكذا أيضًا يحدث حينما تحدثنا الوقائع المسجَّلة في الكتاب المقدَّس في مخاطر، فإنَّها تمنح علاجًا ناجحًا لأولئك الذين يُجَرَّبُون بالأحزان ويريدون أن يأخذوا حذَرهُم. فإنْ كانوا قد صادروا أموالنا، أو قد أَضَرَّنا الذين يُطلِقون علينا الأكاذيب، أو إنْ أَلقونا في السجون، أو جلَدُونا أو تعرَّضنا لأيِّ شيءٍ آخر، فإنَّنا نستطيع أن نعود إلى أنفسنا مرَّة أُخرى، حينما يكون لدينا أمثلةِ هؤلاء الأبرار الذين عانوا نفس هذه الأشياء، وأظهروا صبرًا جميلًا، لأنَّهُ في حالة الأمراض الجسديَّة، نَجِدُ أنَّ مُلاحظة شخصٌ ما للمرضى يجعل المرض يزداد، ومرَّاتٍ عديدة يُسبِّب المرض وإنْ لم يَكُن موجودًا، كما يحدث حينما ينظر الكثيرون إلى عيون المريض فيمرضون من مجرَّد رؤية المرضى فقط. ولكن في حالة النَّفسِ لا يحدث نفس الأمر، وإنَّما العكس تمامًا، فإنَّنا حينما نُفَكِّرُ باستمرارٍ في أولئك الذين يُعانون من هذه الأمورِ، فإنَّ هذا يُخفِّف حُزننا على الشُّرور التي تُصيبنا نَحنُ. لأجلِ هذا فإنَّ الرسول بولس يُعَزِّي المؤمنين بهذا الأسلوب، ذاكرًا لهم كأمثلة ليسَ فقط القديسين الذين لازالوا على قيدِ الحياة، وإنَّما أيضًا المنتقلين منهم فعلَى سبيل المثال نجده يُكَلِّم العبرانيِّين الذين كانوا في خَطَرٍ أنْ يُقهَروا

وأن يَسقُطوا، فيُقَدِّم كمثالٍ هؤلاء الرِّجال القديسين: دانيال، والثلاثة فتية، وإيليَّا واليشع، قائلًا عنهم: «... سَدُّوا أَفْوَاهَ أُسُودٍ، أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ، نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ،... رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، فِي قُيُودٍ أيضًا وَحَبسٍ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ.» (عبرانيين ١١: ٣٣). فإنَّ الشركة في آلام الآخرين تَجلِب تعزية لأولئك الذين يُعانون، وكما هو الحال حينما يُعاني شخصٌ ما بمُفرَدِهِ أيّ شرّ فإنَّ حُزنهُ يكون بلا عزاء، هكذا أيضًا حينما يرى آخر قد سَقَطَ في نفس الشّرور، فإنَّ ذلك يجعل الجرح أخفّ وطأة.

٢) إذًا فَلِكي لا نفقد شجاعتنا من كلّ تلك الأشياء التي تُضايقنا، لننتبه بكلِّ استعدادٍ لهذه القِصَص الموجودة في الكُتُبِ المقدَّسة، لأنَّنا سنَنال منها دافعًا كبيرًا للصبرِ، ليسَ فقط أنَّنا ننال عزاءً من مُشاركة أولئك الذين عانوا هذه الأشياء، ولكنَّنا أيضًا سنتعلَّم طريقة التخلُّص من الشّرور التي تأتينا، وبعد ذلك لِنَبقَ في هذه الحالة، دونَ أن نسقط في اللامُبالاةِ، أو أنْ يَسودَ علينا الزَّهو والكِبْرُ والتِّيهُ. لأنَّهُ حينمَا نفعل الشّرور ونتوب ونَتَّضِع ونُظهِرُ ورعًا عظيمًا، فإنَّ هذا ليسَ أمرًا مُدهِشًا على الإطلاقِ، لأنَّ طبيعة التَّجارب نفسها تُجبر على فعل ذلك. لذا فإنَّ أولئك أيضًا الذين لديهم قلبًا حَجَريًّا يحزنون (بسبب تجاربهم)، ولكن معرفة النَّفسِ التقيَّة هو في أنْ يكون الله دائمًا أمام عينيها حتى بعد تحرُّرها من التَّجارب حتى لا تنسى الله أبدًا، وهو الأمر الذي كان يُعاني منه اليهود باستمرار. لأجل هذا نَجد اتهام النبيّ لهم بقوله: « ... فلمَّا قتلهم (في سيناء) حينئذٍ كانوا يطلبونه ويرجعون ويَدَّلِجونَ إلى الله» (مز ٧٧: ٣٤). كما أنَّ موسى يعرف جيِّدًا ذلّتهم هذه، فينصحهم قائلًا: «فَاحْتَرِزْ لِئَلاَّ تَنْسَى الرَّبَّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ.» (تثنية ٦: ١٢). وهذا بالتأكيد ما حدث لأنَّهُ يقول:«سَمِنْتَ وَغَلُظْتَ وَاكْتَسَيْتَ شَحْمًا! فَرَفَضَ الإِلهَ» (تثنية ٣٢: ١٥). لأجل هذا فلا يجب أنْ نتعجَّب من هؤلاء القديسين الذين كانوا يُظهرون وَرَعًا وحكمةً في وقتٍ يكون حُزنهم قد وصَلَ إلى قِمَّتِهِ، ولكن العُجب يكون بسبب أنَّهم حينما تَمضي هذه النوبة عنهم ويسود الهدوء، فإنَّهم يستمرُّوا في إظهارِ نفس هذا الهدوء وهذه الرغبة. ولكنَّنا يجب أن نتعجَّب من الخيل أيضًا التي بدون اللجام تستطيع أنْ تخطو خطواطها بانتظام، ولكن إن خَطَت خطواتها بنظامٍ جيِّد لأنَّ عليها اللجام فلا يدعو ذلك للتعجُّبِ، لأنَّنا لا ننسب الفضلَ في الخطواتِ المنتظمة التي يقوم بها هذا الحيوان نفسه، ولكن إلى اللجامِ الذي يُجبرهُ على القيامِ بها.

وهذا يمكننا أنْ نقوله على النَّفسِ أيضًا، أي أنَّها لا تستحقّ أبدًا العُجب حينما تكون هادئة بلجامِ الخوفِ، ولكن حينما تمضي التجارب ويَنزَع أحدٌ لجام الخوف، فحينئذ أَظهِر لي وَقار النَّفس، وانضباطها التَّامّ. ولكنِّي أخشى فربما حينما أُريدُ أنْ أَتَّهم اليهود، أَتَّهم أيضًا أُسلوب حياتنا، لأنَّه حينما سَيْطَرَ علينّا الإضطراب بسبب المجاعة، أو الوباء، أو البرد القارس، أو إنحباس الأمطار، أو الحريق، أو ثورات الأعداء، أَفَلَمْ تَكُن الكنائس في كُلِّ يومٍ ممتلئة ومكتظَّة من جموع الناس المحتشدين فيها؟ وكان وَقَارُنَا حينئذ عظيمًا، وكُنَّا نزدَري بالأمورِ العالميَّة، ولم تَكُن تُساوِرُنا الرَّغبة في الأموال، أو المجد، ولا الرَّغبة في الإنحدارِ بالأعمال القبيحة، ولا في أيِّ فكرٍ آخر شِرِّيرٍ؟ وأيضًا كنتُم وقتذاك جميعكم تسلِّمون ذواتكم لتقوى الله مع التضرُّعات والدُّموعِ. وكان الزَّاني يتعقَّل، ومَنْ يحفظ الإساءة كان يلتمس المصالحة، والطمَّاع كان يميل لكي يصنع رحمة، وسريع الغضب والوَقِح يميل تُجاه الاتضاع والوداعة، ولكن حينما أوقَفَ الله غضَبَهُ، وأنهى المحنة، مانِحًا هدوءًا من كُلِّ الأمواجِ، عُدنا مرّةً أُخرى إلى عاداتنا السَّابقة. وإنْ كنتُ لم أَتوَقَّف – **حينَ حدثت تلك المِحَن** – أنْ أتَكَهَّن بما سيحدث وأَحتَجُّ (على تصرفاتكم)، ولكنَّنا لم نربح أيّ شيء، وإنَّما كمثل حُلمٍ أو ظِلٍّ قدْ مرَّ وَعَبرْ. هكذا كُلّ تلك الأمور قد أخرجتموها من حسابكم.

إنَّني أخافُ الآن أكثر جدًّا من ذاكَ الوقتِ، والذي كنتُ أقوله لكم مرارًا وتكرارًا، الآن أخشاهُ أكثر، أي أنَّهُ لربما نتسبَّبُ في شرورٍ أكثر رُعبًا ممَّا سبق، ونقبَل من اللهِ عندها جُرحًا لا يندَمِل. لأنَّهُ حينما يُخطيء أي شخص بصورة مستمرَّة وينال المغفرة من اللهِ، ولا يستفيد من طولِ أناة الله، لينعَتِق من كثرةِ شرورهِ، يُفارقُه الله وينأَى عنه، ليغرقَ في لُجَّةِ الخطيَّة وعمق الشُّرور، لكي يجعله ينسحق تمامًا، وربما لا يُعطيهِ مهلة أو فرصة أخرى للتوبةِ، وهو الأمر الذي حدث في حالة فرعون. فَلأَنَّهُ بعد أوّل ضربة، ثمّ ثاني وثالث ورابع ضربة وضرباتٍ أُخرى مستمرَّة، وهو قابعٌ في عنفوانه وكبريائه، لم يَستفِد أيّ شيء من طول أناة الله، نجده بعد ذلك يتلقَّ ضربةً قاضية حُطِّمَ من خلالها وَمُحِيَ تمامًا إذ غَرِقَ وجنوده في البحر الأحمر. وهذا ما حدَثَ مع اليهودِ أيضًا. فالمسيحُ وهو مزمعٌ أن يجلبَ عليهم الفناء والخراب بطريقةٍ لا يمكن معها الإصلاح والتقويم، يقول الآتي: «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!» (لو ١٣: ٣٤-٣٥). أَخشى إذًا لربما نحن أيضًا نجتاز نفس تلك الأمور، لأنَّنا لا نتأدَّب سواءَ بسبب شرورنا أو شرور الآخرين. وهذا الكلام لا أقوله لكم أنتم الحاضرين، ولكن لأولئك أيضًا الذين هجروا الإهتمام اليومي ونسوا الأحزان السَّابقة، والذين لأجلهم لا أتوَقَّف عن القلق دائمًا وأقول: حتى ولو مضت التجارب، لابُدَّ أن يبقى في داخل نفوسنا ذِكراها، كذلك ونحنُ متذكِّرين دائمًا إحسان الله معنا، نشكره باستمرار على هباته السخيَّة التي يغدقها علينا.

٣) هذه الأمور كنتُ أقولها سابقًا، والآن أقولها أيضًا لكم وللآخرين، لنتمثَّل بالقديسين، الذين لم يفنوا من الأحزان، ولم يصيروا متراخين بسبب الرَّاحة، وهو ما يُعانيه الآن كثيرٌ من البَشَر، تمامًا كالقوارب الخفيفة التي تُلاطمها الأمواج فتغرِّقها. حقًّا فإنَّ الفقر الذي يُصيبنا أيضًا في مرَّاتٍ عديدة يُغرِّقنا ويطرحنا في العمق، والغِنَى أيضًا الذي يأتينا ينفُخ عقولنا ويقودنا إلى اللامُبالاة الأكثر سوءًا. ولأجلِ هذا فمن فَضْلِكُم، بعدما طَرحنا كُلَّ شيء جانبًا، فليُرتِّب كُلٌّ منَّا نفسه لكي تقبل الخلاص، لأنَّ النَّفسَ حينما توجد في حالةٍ جيِّدة،

فإنَّ أيٌّ من الشرورِ التي تُصيبنا إن كان مرضٌ، أو وشايةٌ، أو سلب الأموال، أو أي شيء آخر، سيكون خفيفًا ومحتَمَلًا، بسبب وصيَّة الرَّبِّ ورجائنا فيه. كما أنَّهُ لو كانت النَّفسُ ليست في عُلاقة جيِّدة مع الله، فإذا وُجِدَتْ ثروةٌ وغِنًى، أو حظي أحدٌ بالأولاد، أو تمتَّع بأموالٍ لا تُحصَى، فإنَّ هذا الإنسان سَيُمتَحَنُ بأحزانٍ كثيرة وقلقٍ واضطراب. إذًا فلا نطلب الغِنَى، ولا نهجر الفقر من ناحية أخرى، ولكن قبلَ كُلِّ شيء ليهتمّ كلُّ واحدٍ منَّا بنفسهِ، ونجعلها تستعد وتتوافق في مواجهة الحياة الحاضرة وغربتها هنا، حتى نَصِل إلى الحياة هناك (الأبديَّة)، لأنَّ الأيام تزول بسرعة، وسيحصد كُلُّ منَّا ما زرعه باختياره، حينما نقف كلّنا أمام كُرسيّ المسيح المرهوب، ونحن نرتدي أعمالنا، ناظرين بعيوننا دموع الأيتام، وفسادنا المُشين الذي به لَوَّثنا نفوسنا، وتنهُّدات الأرامل، وما فعلناه من شرورٍ وسَلبِ الفقراء، وليس فقط هذه الأشياء، وإنَّما ما يُماثلها من أمورٍ مُخزية، وأيضًا استخدام فكرنا فيما لا يليق. «لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ ... مُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ.» (عب٤:١٢). وأيضًا: «فَإِنَّ فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى اللهُ الْبَارُّ.» (مز٧:٩). كما أنَّه: «يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ.» (متى ١٦:٢٧).

إنَّ أقوالي هذه لا تُقال فقط لأولئك الذين يُجَرَّبون في الحياةِ في العالَم، ولكن أيضًا لأولئك الذين أقاموا أكواخهم في الجبالِ لأجلِ حياة الرَّهبنة، لأنَّ هؤلاء ينبغي أن يُحافظوا ليسَ فقط على أجسادهم من دنس الزِّنا، ولكن على نفوسِهم من كُلِّ شَجَعٍ **شيطاني**. لأنَّ الرسول لم يُخاطب فقط النساء ولكن الرِّجال أيضًا وكلّ الكنيسة، لأنَّهُ يقول: إنَّ النَّفسَ التي تُمارس البتوليَّة ينبغي أن تكون طاهرة في الجسدِ والنَّفسِ. وأيضًا يقول: «لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ.» (٢كور ١١:٢). وكيفَ تكون عفيفة؟ «لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ» (أف ٥:٢٧). ذلك لأنَّ تلك العذارى اللاتي انطفأت مصابيحهُنَّ، كُنَّ عذارى في الجسد، ولكنهنَّ لم تَكُنَّ نقيَّاتِ القلب، وإنْ لَمْ يُفسِد رجلٌ عذراواتهنَّ، فإنَّ عشق الأموال أفسَدها. كان جسَدَهُنَّ نقيًّا، ولكن نفوسَهُنَّ مملوءةٌ من دنس الأفكار الشّريرة التي دخلت إليهُنَّ، وأيضًا من محبَّة المالِ وعدم الرَّحمة والغضب، والحَسد، والخمول، واللامُبالاة، والزَّهْوَ، وهذه أفسدت أيّ وقار لبتوليَّتهنَّ. لأجل ذلك فإنَّ الرسول بولس يقول: «لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا.» (١ كور ٧:٣٤). وأيضًا يقول: «لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ.» (٢ كور ١١:٢). فكما أنَّ الجسد يتدَنَّس من الزِّنا، فإنَّ النَّفسَ أيضًا تتلوَّث من الأفكار **الشيطانيَّة**، من العقائد الفاسدة والمعاني غير اللائقة. لأنَّ ذاكَ الذي يقول: إنَّني بتولٌ في الجسد، ولكنه يحسد أخيه داخل نفسه، فإنَّ ذلك لا يكون بتولًا لأنَّ بتوليَّته قد أفسدها دخول الحسَد إليها. كذلك أيضًا فإنَّ مَنْ يهدف للمجدِ الباطل ليسَ بتولًا، لأنَّ بتوليَّتة يُفسدها خضوعه للحَسَدِ، فالشَّهوة التي دخلت أفسدت بتوليَّة نفسه. هكذا أيضًا من يُغضِب أخاهُ، فهو يكون قاتلًا وليسَ بتولًا. وعمومًا فإنَّ كُلَّ واحدٍ يَخضع لِأَيِّ شهوةٍ شريرةٍ، فهو بهذه الشَّهوة يُفسِد بتوليَّته. ولأجل هذا فإنَّ الرسول بولس يُحرِّم كُلّ هذه الرِّباطات الشّريرة وينصح بأن نَكونَ بتوليِّين بهذه الطريقة، حتى لا نتقبَّل في نفوسنا بإرادتنا أيّ فكرٍ مُضادّ.

٤) إذًا فماذا نقول لِكُلِّ هذه الأمور؟ كيفَ سننال الرَّحمة؟ كيفَ سَنَخلُص؟ سأقولُ لكم: لتَكن دائمًا في داخل نفوسنا الصَّلاة وثمارها، وأعني بذلك التَّواضُع، واللطف. لأنه يقول: «تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ.» (متى ١١:٢٩). كما أنَّ داود أيضًا يقول: «فالذَبِيحَةُ للهِ رُوحٌ مُنْسَحِق. الْقَلْبُ الْمُتَخَشِّعُ وَالْمُتَواضِع لا يرذلهُ اَللهُ.» (مز٥٠:١٧). لأنَّ الله يقبل ويَحبّ بالأكثر جدًّا النَّفس الوديعة، والمُتَّضِعَة والفَرِحَة. فانتبه إذًا يا أخي أنتَ أيضًا، حينما ترى شيئًا من الأمور غير المرغوبة تأتي وتُضايقك، لا تلجأ إلى البَشَر وتُلقي رجاءك على مُساعدة فانية، وإنَّما أسْرِع بفكرك نحو طبيب النُّفوس، بعد أن تطرح كُلّ شيء جانبًا، لأنَّهُ هو فقط الذي يستطيع أنْ يَشفي القَلب، ذاكَ الذي خَلَقَ قلوبنا ويعرف كُلّ أعمالنا. «الذي هو وحدهُ خَلَقَ قلوبهم الذي يفهم كلّ أعمالهم» (مز ٣٢:١٥). هذا هو مَنْ يستطيع أنْ يدخل في ضمائرنا، ويلمس تفكيرنا ويُعزّي نفوسنا. لأنَّه إنْ لم يُعزّي هو قلوبنا، فإنَّ تعزيات البَشَر تكون بدون فائدة ولا طائل. هكذا أيضًا حينما يُعزّينا الله ويُشجعنا، حتى ولو كان عدد مَنْ يُضايقوننا من الناسِ لا يُحصَى، فلن يتمَكَّنوا من إلحاقِ الضَّرَرِ بنا في شيء، لأنَّ ذاكَ حينما يعضد القلب، فلا يوجد أيّ شخص يقدر أنْ يُرجفَهُ.

إذًا يا أحبائي بمعرفتنا لهذه الأمور، لنلجأ دائمًا إلى اللهِ، الذي يُريد ويستطيع أن يُخلِّصنا من الكوارث. لأنَّهُ حين يحتاج الأمر أنْ نترَجَّى من البَشَرِ، فينبغي مُسبقًا أنْ نلتقيَ بِحَرَسِهم وأنْ نترَجَّى منافقين ومُرائين، ونسيرُ في طريقٍ طويل. ولكن إنْ كُنَّا نطلبُ من اللهِ فلا يوجد أيّ شيء مُشابه لهذا نحتاجه، وإنَّما نطلُب منه دون وسيط، وبدون أموال، ولا تحتاج طلبتنا منه أيَّة نفقات، يكفي فقط أن يصرخ أحدٌ متحدِّثًا بما في قلبه وأن يَسكب الدموع، وفي الحال سيُسرع ويُساعده. كما أنَّه بالتأكيد حينما نطلب من البَشَر فمرَّاتٍ عديدة نخشى لربما يكون حاضرًا عدوّ أو صديق أو أحد الخصوم ويسمع ٱلتماسنا وينشر كلامنا بصورة مُغايرة، مُحرِّفًا الحقّ، لكن في حالة التوسُّل للهِ فلا يمكن أنْ تفكِّر بأيّ شيء مِنْ هذا القبيل. لأنَّهُ يقول: «حينما تطلب، تعالَ وحدك بدون أنْ تُحرِّك شَفتيكَ»، يقول: «فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ.» (متى ٦:٦). فلاحظ مقدار التكريم الفائق، يقول: حينما

تطلب منِّي لا يرى أحد، ولكن حينما أُكرِّمك أنا فإنِّي أُحضر كُلّ المسكونة كشاهد على فعل الصَّلاح.

إذًا لِنُصَدِّق هذه الأقوال ولا نُصَلِّي بتظاهُر، ولا ضدّ أعدائنا، ولا نُشير عليه (أي الله) بالطريقة التي يُساعدنا بها. لأنَّه إنْ كُنَّا نتحدَّث فقط عن قضيَّتنا لمَنْ هُم يُدافعون ويخطبون في المحاكم الدنيويَّة، ثمّ نترك لهم طريقة المساعدة، حتى يتعاملوا مع موضوعنا كما يرغبون، فبالأحرى جدًّا أنْ نفعل هذه مع الله. قُلْ له دَعواكَ، كُلّ ما أصابَك، فلا تحتاج أنْ تقول له أيضًا كيف يُساعدك، لأنَّهُ يعلم تمامًا مصلحتك. يوجد كثيرون يقولون في صلواتهم كلمات لا حصرَ لها مثل: يا ربّ أعطني صحَّة جسديَّة، ضاعف من أملاكي، ساعدني على أعدائي، وهو الأمر المملوء من قلَّة العقل. لأجل هذا ينبغي أنْ نترك كُلّ هذه الأشياء، وأنْ نتضَرَّع ونُصَلِّي له فقط وفقًا لما قام به العشَّار الذي يقول: «اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ.» (لو ١٨:١٣)، وهو بعد ذلك يعرف كيف سَيُساعدك، لأنَّهُ يقول: «اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.» (متى ٦:٣٣).

هكذا إذًا يا أحبائي لنتعقَّل (نتمسَّك) بالألم والاتضاع، قارعين صدورنا، تمامًا مثل ذاك (العشَّار) وسننال تلك الأمور التي نطلبها. وأمَّا لو صلَّينا ونحنُ مملوئين مِنَ الغيظِ والغضبِ، فسنكون ممقوتين ومكروهين أمام الله. إذًا لِنَنْسَحِق بفكرنا ولنَتضِع بنفوسنا ولنُصَلِّ لأجل أنفسنا ولأولئك الذين أحزنونا. لأنَّكَ إنْ أردت أنْ تجذب القاضي (الله) لكي يُساعد نفسك، وأنْ تأخذه في جانبِكَ، فلا تَطلُب منه إلحاق الضَّرَر بذاكَ الذي أحزَنَكَ. لأنَّ طريقة عمل القاضي هي تلك، إنَّهُ يَرضى ويوفي طلبات أولئك الذين يُصَلُّون مِنْ أجلِ أعدائهم، هؤلاء الذين لا يذكرون الشَّر، ولا يثورون ضدّ أعدائهم. وعلى قدرِ ما يفعلون مِنَ الأمور غير المقبولة، بقدر ما يُعاقبهم الله إنْ لم يتوبوا عنها.

٥) إذًا لننتبه يا إخوتي، حينما يُوَجِّه أحدٌ أيّ إهانة ضدَّنا، ألَّا نغضب حالًا ونضطرب، ولكن لِنُظهِر حكمة ونشكر الرَّبَّ، منتظرين مساعدته. ربما لا يمكن أنْ يُعطينا الله البركات قبلما نطلبها؟ ربما أيضًا لا يُمكن أنْ يمنحنا حياةً بلا أَلَمٍ، خالية من كُلِّ حُزن؟ ولكنه يفعل الإثنين مِنْ محبَّته لنا. فلماذا إذًا يسمح بأنْ نحزن ولا يُخلِّصنا حالًا مِنَ الحُزن؟ لكي نبقى مرتبطين بِهِ، منتظرينَ مُساعدته لنا، ينبغي أنْ نلجأ إليه وندعوه دائمًا لمُساعدتنا. إذًا لأجل هذا تحدث الآلام الجسديَّة، لأجل هذا يحدث القحط والمجاعات، إذًا بسبب هذه الأحزان نكون دائمًا متعلِّقين به، وبهذه الأحزان الوقتيَّة نرث الحياة الأبديَّة. إذًا ولأجل ذلك ينبغي أنْ نشكُر الله، الذي يشفي ويُخَلِّص نفوسنا بطُرُقٍ كثيرة. لأنَّهُ لو حدث وقدَّمَ البعض صنيعًا حسَنًا لنا ثمَّ بعد ذلك احزنَّاهم نحنُ في شيء ما دون أنْ نريد ذلك، ففي الحال يتَّهمونَنا وهم يعرضون حُسن صنيعهم الذي تمَّ معنا، حتى أنَّ الكثيرين يلعنون أنفسهم بسبب أنَّهم نالوا هذا العمل الحسن مِنْ هؤلاءِ، ولكن الله لا يفعل نفس الشيء، ولكنه وإنْ كان يُحتَقَر ويُشتَم بعد حُسنِ صنيعِهِ، نجِدُهُ يحثّ ويتكلَّم لأولئك الذين شتَموه، كمن هو مُتَّهمٌ قائلًا: «**يا شعبي، ماذا صنعتُ بِكَ؟**».

هؤلاء بالرَّغمِ مِنْ أنَّهم لم يُريدوا أنْ يدعو الله، إلَّا أنَّهُ لم يَكُفّ أنْ يدعوهم شعبه، هؤلاء كانوا يرفضون سُلطانه، ولكنه لم يَكُن يرفضهم، بل كان يعتبرهم خاصَّته وكان يجذبهم بالقُربِ منه، قائلًا: «**يا شعبي، ماذا صنعتُ بِكَ؟**». فهل صرتُ لكم مُزعِجًا أو ثقيلًا أو مُبغِضًا؟ ولكنك حتى لا تستطيع أنْ تقول هذا، لأنَّهُ حتى وإن حدث هذا، فما كان ينبغي أنْ تبتعد عنِّي، «فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟» (عب ١٢:٧). ولكن ولا حتى هذا تستطيعون أنْ تقولوه، إذْ يقول في موضعٍ آخَرَ: «مَاذَا وَجَدَ فِيَّ آبَاؤُكُمْ مِنْ جَوْرٍ» (إرمياء ٢:٥). هذه الأقوال عظيمة وتستحقّ كُلّ تَعَجُّب، لأنَّ ما يقوله يعني الآتي: أيُّ خطأ فعلتُ؟ الله يقول للبَشَر: أيُّ خطأ فعلتُ؟ وهو الشيء الذي لا يحتمله حتى العبيد حينما يُخاطبهم سيّدهم هكذا. لم يَقُل أيّ ذنبٍ فعلتُ لكم، وإنَّما لآبائكم. كذلك هذا الأمر لا تستطيعون أنْ تقولوه؟ أيّ كونكم تحملون ضِدِّي عداوةً أبَوِيَّةٍ، لأنَّهُ ولا أسلافكم كانوا يتهمونني أبدًا بسبب (نقص) عنايتي، أيّ بسبب إهمالي لهم بأيّ مقدار. ولم يَقُل مجرَّد: ماذا كان لدى آبائكم؟ ولكن: «مَاذَا وَجَدَ فِيَّ آبَاؤُكُمْ مِنْ جَوْرٍ» (إرمياء ٢:٥). لقد طلبوا الكثير، وسنواتٍ عديدة كانوا تحت قيادتي ولكنَّهم لم يجدوا فِيَّ أيّ جور.

إذًا كُلّ ذلك يتمّ لكي نلجأ باستمرارٍ إليه، وفي كُلّ حزنٍ يُصيبنا لنَطلب عزاءه، وفي كُلّ كارثة تحلّ بنا نطلب مُساعدته، لأنَّهُ مهما كان الشَّر، مهما كان حجم الكارثة، فإنَّ كُلّ شيء يستطيع أنْ يُنهيه وأن يُبعده، وليس فقط ذلك، ولكن كُلّ أمان وقوَّة وصيت حُسنٍ وصحَّةٍ جسديَّة، وتَقوى النَّفس ورجاء صالح وبُعدٌ عن الخطيَّة سَيَهبنا من صلاحه. فلا نتذَمَّر إذًا كالعبيدِ الجاحدين، ولا نتَّهم الرَّبَّ، ولكن نشكره لأجلِ كُلّ حالّ، ونعتبر أنَّ شيئًا واحدًا هو شرِّير، هو أن نُخطِيء أمامه. إذًا فإنْ أظهرنا ذلك السلوك نحو الله، سوفَ لا يحدث لنا لا مرضٌ ولا فقرٌ، ولا خزي أو جدب، ولا أيّ أمرٍ مِنْ تلك التي تُعتَبر أُمورًا مُحزنة. ونحنُ نتمتَّع دائمًا بالطَّهارةِ والنَّقاوة، نفوزُ بالخيرات الآتية، بالنعمة ومحبَّة البَشَر اللواتي لربنا يسوع المسيح، والذي يليق به مع أبيه والرُّوح القُدُس المجد، الآن وكُلّ أوان وإلى أبد الآباد. آمين.

إنَّ نعمةَ التألُّه تتجاوز إذًا الطبيعة والفضيلة والمعرفة، «فهذه كلها أدنى منها» (كما يقول **القديس مكسيموس**). فإنَّ كُلَّ فضيلة وتشبُّه باللهِ من جانبنا يجعلان مَنْ يمارسها مُهيَّأً للإتِّحادِ الإلهي، لكن الإتِّحاد السِّرِيّ ذاته تُتَمِّمُهُ النعمة. أَنَّهُ بواسطة النعمة، «يأتي الله ليسكن بِمِلْئِهِ في أولئك الذين حُسِبُوا مستحقين» (**مكسيموس**)، والقديسون يسكنون بكل كيانهم في الله، مستقبلين الله في مِلْئِهِ، وغير حاصلين على مكافأة أخرى لصعودهم إليه سوى الله ذاته.

«أَنَّ الله يلتصق بهم كما تلتصق النَّفسُ بالجسد، كما بأعضاءِه الخاصة» (**مكسيموس**). وهو يَستَسيغُ السُّكنى في المؤمنين بالتَّبَنِّي الحقيقيّ، وِفْقًا لعطيَّة ونعمة الرُّوح القُدُس. لذلك، عندما تسمع أنَّ الله يسكن فينا بواسطة ممارستنا للفضائل، أو أَنَّهُ يأتي ليقيم فينا من خلال الذَّاكرة، لا تظن أَنَّ التألُّه مجرد إقتناء الفضائل، لكنه يكمُن بالأحرى في سطوعِ نعمةِ اللهِ، والتي حقًّا تأتي إلينا من خلال الفضائل. كما يقولُ **القديس باسيليوس الكبير**: «أَنَّ النَّفسَ التي كبحت دوافعها الطبيعية عن طريق النُّسك الشَّخصي وبمساهمة الرُّوح القُدُس تتأهَّل – بحسب حكم الله العادل – للبهاءِ الموهوب للقديسين».

والبَهَاءُ الذي تمنحه نعمة الله هو نورٌ، كما نتعلم من هذا القول: «أَنَّ البهاء المُعطى للذين قد تَنقَوْا هو نورٌ، لأنَّ الأبرار سوف يضيئون كالشَّمس، ويكون الله في وسطهم مُعيِّنًا وموزِّعًا لهم كرامات الغبطة والبركة، لأنهم آلهة وملوك».

إنَّ هذه حقائق تفوق السَّماوات وتفوق الكون، لأنَّهُ من الممكن «إقتبال النُّور الفائق للسَّماواتِ ضمن مواعيد الخيرات». وسليمان من جهته يقول: «النُّورُ يُضيءُ للصدِّيقينَ دائمًا» (أم ٩:١٣)، وبولس الرسول يقول: «شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ» (كولسي ١: ١٢).

ولكنَّنا نقول أَنَّ الإنسانَ يتحصَّلُ على الحكمة بالجُّهدِ والدَّرسِ، أَلَّا أنَّنا لا نقول أَنَّ الحكمةَ ليست سوى جهدٌ ودرسٌ، بل هي نتيجتهُمَا.

أَنَّ الرَّبَّ يسكن في الناس بطرقٍ مختلفة ومتنوِّعة، بحسب استحقاق طالبيه وطريقة حياتهم. فهو يظهر بطريقة ما للإنسان العامل، وبطريقة أخرى للمتأمِّل، وبطريقة أخرى أيضًا للرَّائي، وبطرقٍ أُخرى مختلفة أيضًا للإنسانِ الغيورِ أو المتألِّه بالنِّعمةِ. هناك فروقات كثيرة في الرؤيا الإلهِيَّة عينها. بعض الأنبياء عاينوا الله في الحُلمِ، وآخرون في اليقظة بواسطة ألغاز ورُؤَى، ولكنه ظهر لموسى وجهًا لوجهٍ لا في ألغازٍ.

ولكنك عندما تسمع عن رؤية الله وجهًا لوجهٍ، تَذَكَّر قول مكسيموس: «إنَّ التألُّه هو الإستنارة **المُؤَقْنَمَة** والمُباشرة التي لا بداية لها، غير أنَّها تظهر في أولئك المستحقين بشكل يفوق الإدراك. أَنَّهُ حقًّا إتِّحاد سِرِّي بالله، يتجاوز كُلّ عقلٍ وكُلّ إستدلال، في الدَّهر الذي لا تعود الكائنات تعرف فيه الفساد. هذا الإتحاد الذي بفضله يصير القديسون بمعاينتهم نُور المجد الخَفِيّ الذي لا يُنطق به قادرين على اقتبال النَّقاوة المباركة، مع القوَّات السَّماويَّة. أَنَّهُ أيضًا الإبتهال للإله العظيم والآب، رمز التَّبَنِّي الحقيقيّ والأصيل، وِفْقَ عطيَّة ونعمة الرُّوح القُدُس، التي يصبح القديسون بفضلها أبناء الله بِهِبَةِ النِّعمة ويدومون فيها».

إنَّ **ديونيسيوس العظيم** الذي يُسمِّي ذلك النُّور «شُعاع إلهي فائق الضياء»، يُسمِّيهِ أيضًا «عطيَّة مُؤَلِّهة ومبدأ الألوهة» أي مصدر التألُّه. وقد سأله أحدٌ كيف يفوق الله الرِّئاسة الإلهيَّة (أي مبدأ الألوهة عينه)، فأجاب: أنت قد سمعتَ أَنَّ الله يدع ذاته يُرى وجهًا لوجهٍ لا في ألغاز، وأَنَّهُ يلتصق بأولئك المستحقين كالتصاق النَّفسِ بالجسدِ، بأعضائها الخاصة، وأَنَّهُ يتَّحد بهم حتى أَنَّهُ يأتي ويسكن فيهم

بالتَّمامِ، لكي يسكنون هم أيضًا فيهِ بالكُليَّة، لأنَّهُ بواسطة الابن ينسكب الرُّوح علينا بغنًى «الَّذِي سَكَبَهُ بِغِنًى عَلَيْنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا.» (تيطس ٣: ٦) – لا كشيء مخلوق – وأنَّنا نشترك فيه، وأنَّهُ يتكلَّم من خلالنا. أنت تعرف كُلّ هذا. لكن يجب ألَّا تعتبر أنَّ الله يدع ذاته يُعايَن في جوهره الفائق الجوهر، بل بمقتضى العطيَّة المُؤَلِّهة وقُوَّتها، بحسب نعمة التَّبنِّي والتألُّه الغير مخلوق والإستنارة المُؤَقْنَمَة. يجب أَنْ تعتبر أَنَّ هذا هو مبدأ الألوهةِ، العطيَّة المُؤَلِّهة، التي بموجبها يمكن للإنسان أَنْ يتَّصل بالله بصورةٍ فائقةِ الطبيعة وأَنْ يراه وأن يتَّحد به. لكن جوهر الله الفائق المبدأ يتجاوز هذا المبدأ أيضًا.

هذه النِّعمة هي في الحقيقة عُلاقة، وإنْ لم تكن علاقة طبيعيَّة، إلَّا أنَّها في نفس الوقت تفوق العلاقة، ليس فقط بكونها فائقة الطبيعة بل أيضًا لكونها علاقة: إذ كيف لعلاقة أَنْ تكون لها علاقة؟ أمَّا جوهر الله فليس له علاقه، هو ليس كعلاقة بل يسمو ويفوق سائر العلاقات الفائقة الطبيعة عينها. إنَّ النِّعمة تُعطى لجميع المستحقين لها، بطريقة خاصة وملائمة لكُلٍّ منهم، في حين أَنَّ جوهر الله يسمُو على كُلّ ما هو قابل للمشاركة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

عندما تسمع الكلام عن قُوَّة الله المُؤلِّهة ونعمة الرُّوح الإلهيَّة، لا تنشغل بالبحث أو تسعى لمعرفة لماذا هي كذا أو كذا وليست شيء آخر. لأنَّك بدونها لا تقدر أَنْ تتَّحد بالله، كما يقول الآباء الذين تحدثوا عنها. عليك بالأحرى أَنْ تُلازم الأعمال التي ستسمح لك ببلوغِها، وعندئذ سوف تعرف على قدر إمكانك، إذ لا يعرف أحد قوى (طاقات) الرُّوح القُدُس إلَّا من تعلَّم عنها عن طريق الخبرة، حسب **باسيليوس الكبير**. أما بالنسبة للشخص الذي يبحث عن المعرفة قبل الأعمال، فإنْ كان يثق بمن لهم الخبرة فإنه يحصل على صورة ما عن الحقيقة. ولكنه إذا حاول أن يتصورها بذاته، يجد نفسه إنَّهُ قد حُرِم حتى من صورة الحقيقة. ومن ثم ينتفخ بالكبرياء كما ولو أنَّهُ قد أكتشفها، وينفث غضبه على رجال الخبرة كما لو كانوا في الضَّلال. فلا تكن إذاً فُضوليًّا بزيادةٍ، بل اتبع رجال الخبرة بأعمالك، أو على الأقل بأقوالك، مكتفيًا ببوادر النِّعمة الخارجيَّة.

التألُّه في الحقيقةِ هو فوق كُلِّ اسم. ولهذا نحن الذين كتبنا كثيرًا عن الحياة الهدوئيَّة، لم نتجاسر أَنْ نكتُب عن التألُّه. ولكنَّنا اليوم نتكلم لوجود ضرورة بأقوال التقوى – بنعمة الله – غير إنَّها أقوال غير كافية لوصفها. إذ أَنَّ التألُّه يبقى فائق الوصف، وإنْ عُبِّرَ عنه بالكلام، ويمكن أَنْ يُعطى له اسمًا فقط بواسطة أولئك الذين اقتبلوه، كما يُعلِّم الآباء.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

لا يجب إذًا مساواة عطيَّة الرُّوح المُؤَلِّهَةِ بجوهر الله الفائق الجوهر. فهي القوة المُؤَلِّهَةِ للجوهر الإلهي، إلَّا أَنَّها ليست تمام هذه القُوَّة، وإنْ كانت لا تتَجزَّأ في ذاتها. حقًّا أي مخلوق لا يمكنه اقتبال تمام قُوَّة الرُّوح غير المحدودة، سوى ذاك الذي حُمل في بطن العذراء، بحلول الرُّوح القُدُس وقُوَّة العليّ التي ظَلَّلتْهُ. فهو قد اقتبل «كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.» (كولُسي ٢: ٩).

أمَّا بالنسبة لنا،:«فَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا» (يوحنا ١:١٦). فجوهر الله هو في كُلِّ مكان، «لأَنَّ رُوحَ الرَّبِّ مَلأَ الْمَسْكُونَةَ» (حك ١:٧) بحسب الجوهر. التألُّه أيضًا هو في كُلِّ مكانٍ حاضرًا في الجوهر بصورة لا توصف، وغير منفصل عنه، كَقُوتّه الطبيعة.

ولكن كما أَنَّهُ لا يمكن رؤية النَّار، في غياب مادة تقبلها، أو أي عضو قابل لمعاينة قوَّتها المُنيرة، كذلك أيضًا لا يمكن معاينة التألُّه في غياب مادة مهيأَّة لاقتبال الكَشْفِ الإلهيّ. ولكن عندما يُرفع كل برقع تُهيَّئ مادة مناسبة – أي طبيعة عاقلة مُطهَّرة لا تحجبها الزَّجاسات المختلفة – تصير هي نفسها منظورة (من الناس) كنور روحي، أو بالأحرى تُحوِّل الناس إلى نور روحي.

لقد قيل: «أَنَّ جَزاءَ الفضيلةُ هو أَنْ نصيرَ آلهةٌ، أَنْ نستنيرَ بالنُّورِ الأكثر النَّقاوة، أَنْ نصيرَ أبناءُ ذلك النَّهار الذي لا تُعتمه أَيَّةُ ظُلمَةٍ. لأنَّ الشَّمس التي تُنتج هذا النهار هي شمس أخرى، شمس تشرق النُّور الحقيقيّ. ومتى أنارتنا لا تعود تختبئ جهة الغرب بل تُعلِّف كُلَّ شيءٍ بقوَّتها المُنيرة. وَتَهبُ مَنْ هم أهلٌ لها نورًا أبديًّا لا نهائيًّا، وتُحَوِّلُ أولئك الذين يشتركون في هذا النُّور إلى شموس أخرى». عندئذ بالحقيقة «حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ» (مت ١٣: ٤٣). أَيَّةُ شَمسٍ؟ بالتَّأكيد هي تلك التي تَظهرُ الآن لمن هم أهْلٌ لها، كما فعلت آنذاك.

أَلَا ترى أنَّهم سوف يكتسبون نفس الطَّاقة التي لِشَمسِ البرِّ؟ لذا فإنَّ آيات إلهيَّة مختلفة وحلول الرُّوح القُدُس يتِمُّ بوساطتهم. فإنَّهُ قيل «كما أَنَّ الهواءَ الذي يحيط بالأرض إذا ما دفعته الريح إلى فوق يصير مُضيئًا لأنَّهُ يتحوَّل بصفاءِ الأثيرِ، كذلك الرُّوح البشريَّة التي تعتزل هذا العالم المُوحِل والقَذِر، تصير مُضيئة بقوَّة الرُّوح وتمتزج بالصَّفاءِ الحقيقيّ الأسمى، وتلمعُ في هذا الصَّفاءِ، وتصيرُ مُشِعَّةً كُلِّيًّا، وتتحوَّل إلى نورٍ، حسب وعد السَّيِّد، الذي سبق وقال: «حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ» (مت ١٣: ٤٣)

إنَّنا نرى الظَّاهرة نفسها على الأرض من خلال مرآة أو سطح ماء، فإنَّهما باقتبالهما شعاع الشمس ينتجان من أنفسهما شعاعًا آخَرَ. ونحن أيضًا إذا ما ارتفعنا، تاركين الظِّلال الأرضيَّة، نصير مُضيئينَ، بالاقتراب من نُورِ المسيحِ الحقيقيّ. وإذا نزل إلينا النُّور الحقيقّي الذي يضيء في الظُّلمة، نصير نحن أيضًا نورًا، كما قال السَّيِّد لتلاميذِهِ.

هكذا فإنَّ عطيَّة الرُّوح المُؤَلِّهَة هي نُورٌ سِرِّيّ، وهي تُحوِّل الذي يقتبلون غِناها إلى نُور. أَنَّها لا تَملأهُم فقط نورًا أبديًّا، بل تمنحهم معرفة وحياة تليق بالله. هكذا فإنَّ بولس لم يكن بعد يحيا حياة مخلوقة، بل: «حياة أبديَّة ذاك الذي سكن فيه» (بحسب **مكسيموس**).

المرجع: **الدفاع عن القديسين الهدوئين، الثُلاثِيَّة الثالثة، للقديس غريغوريوس پالاماس، تعريب دير مار جرجس الحرف، منشورات التُراث الآبائي (مأخوذ بتصرف)**.

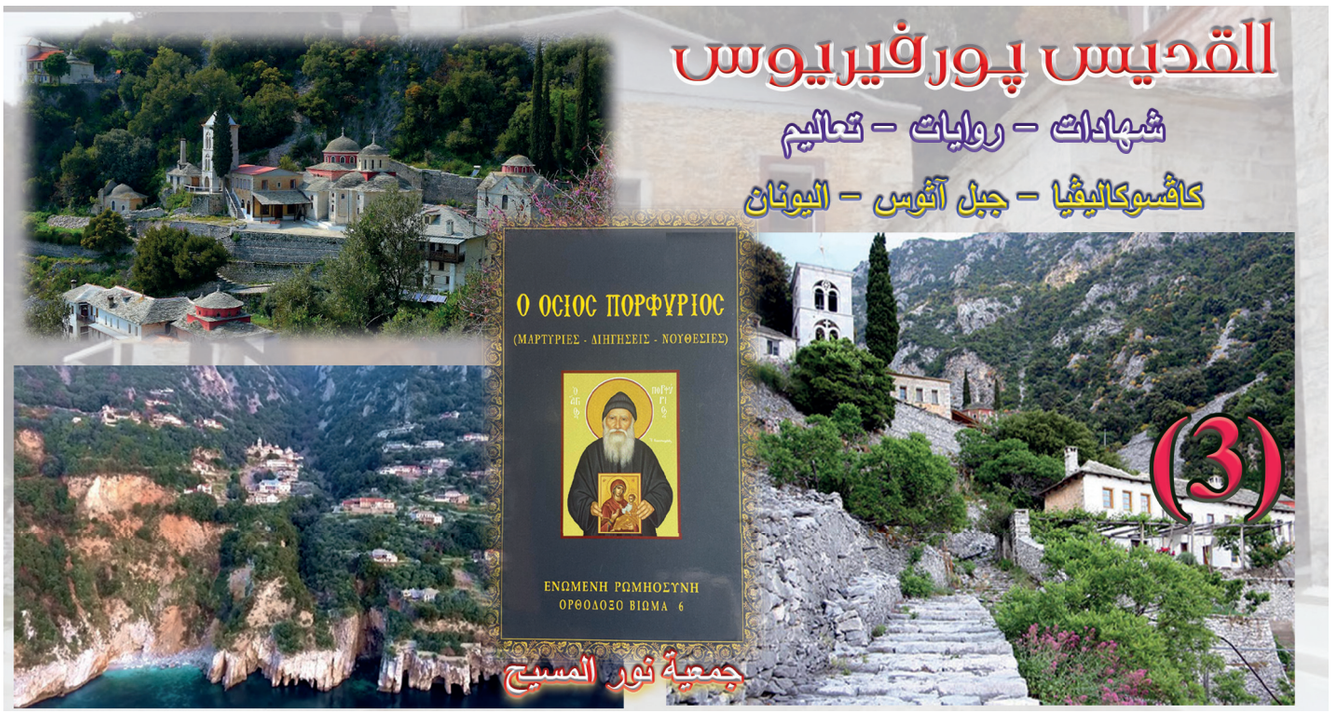

الجزء الأول: شهادات عن القديس

خبرات روحية مع القديس بورفيريوس وعجائب له

شهادات المتوحِّدة ستيليانى، رئيسة دير الضابط الكلّ (باندوكراتور):

تتمة من العدد السابق:

لقد حدَّثنا كثيرًا عن حياته في كافسوكاليفيا في جبل آثوس - كما هو معروفٌ لدينا ذلك، لذا فإنَّنا سَنَتَخَطَّى هذه الأحاديث - لقد ساعدنا كثيرًا ورأينا معجزاته عن كثَبٍ؛ لسنواتٍ عدَّةٍ كنتُ أُعاني (المتوحّدة ستيليانى) من نوباتِ الصُّداع النِّصفي (ماچرينا)، وفي إحدى النوبات الحادَّة التي أصابتني، أثار هذا الأمر حماسَ الكثير من المقرَّبين إليَّ لمدِّ يد العون لمعالجة هذه الحالة المرضيَّة المُقْلِقَة، فقاموا باستشارة طبيبٍ ألمانيّ واسع الشهرة، (الذي يُخصّص شهر حزيران كاملًا من كلّ عام لمعالجة المصابين في اليونان)، وفعلًا تمَّ تحديد موعدٍ لزيارته في عيادته لتشخيصِ هذا المرض.

« بعد الإنتهاء من إجراء الفحوصات تبيَّنَ أنَّني أُعاني من نقصٍ في إنزيمات الجهاز المناعي، الأمر الذي يؤدِّي إلى حالة الصُّداع النِّصفي بشكلٍ متواصل، وتسمى هذه الحالة بالانجليزيَّة *Sensitivity* وليست *Allergy* بالتَّشخيصِ العلميّ. وقد وصَفَ ليَ الطبيبُ بتناول أدوية ذات فعاليَّة قويَّة جدًّا، ولكن لها مضاعفات جانبيَّة مُضِرَّة. بعد أَنْ عُدتُ أدراجي إلى البيت، اتصلتُ للحالِ مع الشيخ پورفيريوس لإحاطته عِلمًا بما حصَل معي عند الطبيب، فأجابني بشكلٍ حازم: لا تتعاطي هذه الأدوية بتاتًا !!!

بعد أيامٍ قليلة، أصابني ألمٌ شديدٌ في رأسي خلال فترة النوم، فانتصبتُ من الفراشِ، وكان لا بدَّ لي من أداءِ صلاة الأغربينيَّةِ ،كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وإذ بالهاتفِ يرنُّ، اخذتُ السَّماعة، لأسمع صوت الشيخ پورفيريوس قائلًا : إنِّي أرى يا مسكينتي، إنِّي أرى كم من وَجَعٍ شديدٍ تُعانين منه !!! هَلُمِّي إليَّ غدًا، وسأُخبرُكِ ماذا ستفعلين.

في الصباحِ، وبرفقَةِ متوحِّدَتينِ من الأخواتِ في الدير، بدأنا بالسير نحو قلَّاية الشيخ پورفيريوس، وبعد أَخْذِنَا بَرَكاتِهِ وأدعيتِهِ الأبويَّة، قالَ ليَ الآتي: «إصغِ لما سأقوله لَكِ: ستذهبي الآن إلى **كنيسة القديس يوحنا الرُّوسي في پروكوپيو في جزيرة إيڤيا**، بِصُحبةِ المتوحِّدة الرئيسة (پيروندیسا) پورفيريًّا أُختي في الرهبنةِ وهي تعرف المكان جيِّدًا. عند وصولكما هناكَ ستجدانَ بجوار الكنيسة الشمالي، مُصَلَّى صغير بداخله قبعة وزنَّار **القديس يوحنا الرُّوسي**، ضعي قبعة **القديس** على رأسكِ وَصَلِّي بحرارةٍ وخشوع من كلِّ نفسك وقلبك وقدرتك، وأنا سأُصَلِّي معكِ أيضًا، وبعدها أُدخلي إلى داخل الكنيسة واسجدي بخوفٍ وورعٍ أمام **رفات القديس يوحنا الرُّوسي** المُسَجَّى داخل التابوت المصنوعِ من المرمرِ والفضة، طالبةً شفاعاته وعنايته غير المردودة، وبعدها كُلّ الأمور ستكون على أحسَنِ حال.

«هكذا فعلنا وأتممنا ما طُلِبَ منَّا، ومنذ ذلك الحين، ورغم مرور أكثر من ثلاثين عامًا ونيِّف، لم أَعُد أُعاني من آلام الصُّداع النِّصفي للرأس ثانيةً.»

في إحدى الليالي، عندما كنتُ أزاول سجدات التَّوبة، أصابتني آلامٌ قويَّة داخل بطني، نَقَرْتُ الحائط بِنَقَراتٍ وَخَبَطاتٍ متواصلة، مُستنجدةً بالأخوات المتوحِّدات في الغُرفةِ المجاورة، وفعلًا هَرَعْنَ لنجدتي، وللحال بعد استشارة أحد الأطباء المشهورين، أوصلوني إلى المشفى القريب، إلى العناية السَّريعة، قام الطاقم المُعَالِج بإجراء الفحوصات الأوليَّة ثمّ عملية جراحيَّة سريعة تكلَّلت بالنجاح، لأخذ عيّنة من داخل البطن (پيوپسيا) للتأكُّدِ عن سبب هذه الآلام المُبرحة. إنتظرنا جميعنا عدة أيام لاستلامِ نتيجة الفحص (البيوپسيا)، إلى أنْ قام االطبيب المعالج عبر الاتصال الهاتفي بإخباري عن النتيجة التي كانت إيجابيَّة (هناك ورمٌ خبيث)، قائلًا: «نعم، أنتِ شخصٌ روحاني انتِ مؤمنةٌ، لهذا أخبرتك بكل الحقيقة بدون مواربة». أغلقتُ الهاتف، وكان فكري مُصَوَّبٌ نحو الشيخ پورفيريوس، ولم أُفْصِحُ لأَخواتي المتَوحِّدات معي في الرَّهبنةِ عن أيِّ شيءٍ بمَا أخبرني به الطبيب المُعالج. رافقتني في

صُحبتي هذه إثنتَيْنِ من المتوحّدات في الدَّيرِ، واستقلينا السيارة باتجاهِ **ميليسي – أتيكيس** قرب **أثينا**.

وصلنا إلى هناك، حيث كان في الطابق السُّفليّ، كثيرٌ مِنَ الزُّوارِ الوافدين، ينتظرون مقابلة الشيخ، للتَوِّ وبدون أيَّةِ إشارَةٍ، أرسل الشيخ إحدى الأخوات المتوحّدات هناك، تدعونا للصعود إلى الطابق الأعلى؛ وبعد دخولنا إلى داخل قِلّاية الشيخ پورفيريوس، أخرج من معي خارجًا ولم يَدَعْهُمَا البقاءِ في الغرفةِ، وبعدما أُغلِقَ البابَ - عِلْمًا بأنّني أم أَبُحْ لأحدٍ عن نتائج الفحص بتاتًا - استبقني الشيخُ قائِلًا:

ـ أنتِ خائفةٌ ؟

ـ نعم، أيُّها الشيخ، كنتُ خائفة ؟

ـ هَلُمّي، واقتربي مِنّي .

ضَمَّ الشيخُ أصابعه الثلاثة ورَشَمَ علامة الصليب على بطني حيثُ موقع الألم، قائلًا لِي: « مِنَ الآن فصَاعدًا، لَنْ وَلَمْ تتعاملي مع هذه القضيَّة مرَّةً أُخرى، ولن تجلسي متأمِّلة ومنشغلة في هذا الأمر، ولا حتى التفكير فيه، ولَنْ تحتاجي لعيادة الطبيب ثانيةً؛ هذا الموضوع موضوع المرض قَدْ وَلَّى وعَبَرَ، هل تفهمينَني !!!».

في الواقع، بخصوص هذه الحالة المَرَضيَّة لم أذهب لزيارة الطبيب مرَّةً أُخرى، ولم أنشغل بها ثانيَةً. لقد مَرَّت سنوات، بل عقود، وأنا في تمام الصِّحة والعافية، فالحمدُ لله ولجميع قديسيه.

في وقتٍ من الأوقات كنتُ ألهجُ في قراءة العهد القديم، وفي إحدى الليالي اتَّصَلَ معي الشيخ پورفيريوس هاتفيًّا وقال لي: «إقرئي لي هذا النَصّ الخاص بأيُّوب الصِّديق الذي تقرأينه الآن».

إنَّهُ من الصَّعب أن أُجيبه حالًا وسريعًا، لأنَّني كنتُ متأثرة ومنفعلة في خلجات نفسي، لأنَّ هناك علاقة مترابطة ما بين أيُّوب الصِّديق وبين عائلتي، وبشكلٍ مُحَدَّد مع والدي، الذي كان يُعيلُ أحدَ عشرَ طفلًا، الذين تلقّوا العلوم، أحدهما طبيبٌ، والآخر محامٍ، وأُخرى معلِّمة، الذين في سنّ العشرين عامًا أخذهم الله. والبعض الآخر من الاولاد الذين بالكادِ تجاوزت أعمارهم الأربع سنوات انتقلوا إلى السَّماء ، وأيضًا خَسِرَ ممتلكاته (الثروات من الأموال المنقولة وغير المنقولة التي يمتلكها.)، لأنَّه عانى الكثير من الأضرار الجسيمة في المحاصيل الزراعيَّة. كُلّ هذه الأحداث أَثَّرت فيَّ كثيرًا لأنَّني أحياها باستمرارٍ في مُخَيِّلَتِي.

قال عندها الشيخ: « إنِّي أراك، إنِّي أراك، لا تستطيعين التحمُّل !!! خُذي المسبحة (كامپوسخيني) وَهَيَّا بنا لأداء الصَّلاة معًا، كانت السَّاعة قرابة الثانية بعد منتصف الليل.

بعد انتهاء المكالمة الهاتفيَّة مع الشيخ، أخذتُ المسبحة وابتدأتُ بالصَّلاةِ حالًا، وفي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل، قَرَعت الأخوات المتوحدات باب غرفتي، لأخذ البَرَكة والدعاء، لأنهنَّ مسافراتٍ إلى تسالونيكي، خرجتُ من الغرفةِ، ورافقتهم وودَّعتهم خارج المنزل، وتمنَّيتُ لهم رحلة آمنة.

وفي لحظة عودتي إلى الغرفة، كان الهاتفُ يَرِنُّ ثانيةً:

ـ هَلُمّي إليَّ بيروندیسا (رئيسة الدير)، أين أنتِ؟

أشرتُ اليه بالتفاصيل بخصوص رحلة الأخوات.

ـ آه ، حسنًا، لأنَّنا كُنَّا نُصَلِّي معًا، وفجأةً فقدتُكِ معي في الصلاة !!!

ملحوظة: من البيّن بجلاءٍ أنَّ القديس پورفيريوس حَظِيَ بنعمة الاستنارة والبصيرة الرُّوحانيّة.

من أقوال القديس پورفيريوس الرَّائي

❊ لا يستطيع أحدٌ أَنْ يعلِّمك الصلاة، لا الكتب ولا الأب الرُّوحيّ ولا أحد. الأستاذ الوحيد للصلاة هو النِّعمة الإلهيَّة. فقط الرُّوح القُدُس هو الذي يعلِّم الصلاة. إنْ لَمْ تدخل في جَوِّ النِّعمة لا تستطيع أن تُصلِّي.

❊ لا تنشغلوا باقتلاع أشواك نفوسكم، بل وجِّهوا كُلّ قواكُم الدَّاخليَّة نحو عمل الصَّلاح، نحو المسيح، والأشواك سوف تنقلع من نفسها. (هنا يريدنا الأب القدِّيس أَنْ نُوَجِّه جهادنا نحو الإيجابيَّات لا نحو السلبيَّات).

❊ إنَّ طريقةَ الجهاد الأكثر ضمانة وسهولة هي طريق المحبّة. لا تُرهِقُوا أنفسكم بطرد الظَّلامِ منها. يكفي أَنْ تفتحوا ثُقبًا صغيرًا داخلكم ليدخل نُور المسيح، فيتلاشى الظَّلامُ حالًا. وهذا ما يحصل مع ضعفاتنا وأهوائنا، ازدروها واحتقروا الشَّرَّ، والتفتوا فقط نحو المسيح. جاهدوا ببساطة وبدون عصبيَّة أو تشنُّج. وَجِّهوا كُلَّ قِواكُم إلى اقتناء محبَّة المسيح وإلى الالتصاقِ به، وهكذا يتحوَّل الشَّرّ في داخلكم خيرًا بشكل سرِّيّ دون أَنْ تعلموا كيف وحتى دون أَنْ تتعبوا. اقرأوا الكتب المقدَّسة، رتِّلوا ورَنِّمُوا المزامير وقوانين الكُتب الكنسيَّة، وهكذا يتَّجه الفكر، تلقائيًّا، نحو المسيح، وتحلُّ الحلاوة الإلهيَّة في القلب.

محبتنا للهِ والقريب

للقديس
باسيليوس الكبير

مَنْ قد انفَكُّوا من همومِ هذا العالم، يليقُ بهم أنْ يسهروا على حياتهم الدَّاخليَّة الخاصَّة بكُلِّ حرصٍ، حتى لا يوجد قلبهم خاويًا في وقتٍ ما مِنَ الهذيذ في الله، أو مُلوِّثًا لذكرى أعاجيبه الإلهيَّة بالتصوُّرات الأرضيَّة الباطلة؛ بل بالأحرى فلينطبع الفِكر المقدَّس في الله كخاتمٍ على النَّفسِ بالذِّكْر الطَّاهر الدَّائم، نضعهُ نُصْبَ أعيُنِنَا في كُلِّ زمانٍ وفي كُلِّ مكان.

لأنَّهُ عن هذا الطريق تُبادر إلينا محبَّة الله حتى في أثناء تأدية أعمالنا اليوميَّة، وتبعث فينا الحَمِيَّة لحفظ وصايا الرَّبِّ، وبالتَّالي تحفظنا من الفشل أو الانحراف. مَنْ تملَّكت عليه الرَّغبة الحارَّة في اتِّباع المسيح، فلا يقدر بعد أنْ يعود ويُحوِّل فكره إلى متعلِّقات هذه الحياة (الدُّنيا)، حتى ولا إلى محبَّة الوالدين أو الأقارب، إذا كانت أيٌّ من هذه تتعارَض مع وصايا الرَّبّ بأيِّ حالٍ. وبهذه الصورة نفهم القول المبارك: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا.» (لو١٤: ٢٦).

وهذا ما يُعلِّمه لنا أيضًا تلاميذ الرَّبّ القدِّيسون، يعقوب ويوحنا، اللذان برأيٍّ واحدٍ تركا أباهما زبدي، بل وحتى السفينة التي كانت تعتمد عليها كُلّ معيشتهم. ثم أيضًا متَّى الذي ترك مكان الجِبايَة وتَبِعَ الرَّبّ، وهو الذي تخلَّى، ليس فقط عن مكاسب مهنته، بل استهان بكل المخاطر المترتبة على ذلك...

وبولس أيضًا كان يفتخر بصليبِ ربِّنا يسوع المسيح ويقول: «الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ.» (غلاطية ٦: ١٤)، لأنَّهُ عندما تملأ محبَّة الله النَّفس ينتفِي كُلُّ صراع. وحتى لو رَشَقَ كُلّ النَّاس هذه النَّفس بسهامِهم (مِنْ أيِّ نوعٍ كانت) مِنْ أجلِ مَنْ تحبُّه، فسوف يكون ذلك داعيًا لفَرحِهَا أكثر مما لآلامها، لأنَّهُ إذا كان الوضع الطبيعي أنْ يكون لنا حُبٌّ وامتنانٌ للذين أحْسَنُوا إلينا، بل إذا كان مِنَ السُّهولة أنْ نتَحمَّلَ أيَّةُ مشقَّةٍ في سبيلِ أنْ نَرُدَّ لهم معروفهم الذي عملوه معنا، فبأيِّ عباراتٍ لائقةٍ يمكننا أنْ نصف عطايا الله، التي بسببِ كثرةِ عدَدها نعجز عن إحصائِها؟ فهي جميلة وعجيبة، وإنْ تأمَّلنا ولوْ في واحدةٍ منها فلنْ نَكُفَّ عن تقديم الشُّكر للمُنعِمِ علينا.

ولكن الله كُلِّي الخيريَّة، كلِّي الجود، حتى أنَّهُ لا يطلب العِوَضَ، ويكتفي فقط بأنْ نُحبَّهُ في مقابل ما أعطانا. وفي الواقع بمجرَّد تأمُّلِي في إحسانِهِ – إذا سمحتم لي أنْ أبوحَ لكم بما يجولُ في نفسي – ينتابني قلقٌ رهيبٌ مخيفٌ، لئلاَّ بسببِ تهاون النَّفسِ في اليقظةِ، أو مِنْ جَرَّاءِ الانْهِمَاكِ في الأمورِ الباطلةِ، أَسقُط من محبَّةِ اللهِ وأصبحُ عارًا للمسيحِ، الأمر الذي سيجعل **الشيطان** يتشامخ علينا ويُعيِّرنا بإهانتنا للهِ وعدم مُبالاتنا؛ حتى أنَّ هذا الذي لم يخلقنا ولم يتألَّم من أجلنا (**أي الشيطان**) سيتسلَّط علينا ويجعلنا كمشتركين في عدم طاعته هو وإهماله لوصايا الله. مثل هذه الإهانة الموجَّهَةِ للرَّبِّ، وإعطاؤنا العلَّة للعَدُوِّ لأنْ يسخر بالمسيحِ الذي مات من أجلنا وقام؛ هذا أفظع عندي من **آلامات الجحيم**.

يليقُ بنَا أنْ نُحبَّ ربَّنا وإلهُنا بكُلِّ قُوَّةِ المحبَّة التي فينا. وعلينا أيضًا بالمثلِ أنْ نُحِبَّ قريبنا، بَلْ وعلينا أيضًا أنْ نُحِبَّ أعداءَنا، حتى نكون كاملين متمثِّلين بِلُطْفِ أبينا الذي في السَّموات، «الَّذِي يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الصَّالِحِينَ وَالطَّالِحِينَ» (مت ٥: ٤٥). إنَّهُ داءٌ وَبيلٌ أنْ نُبدِّدَ قُوَّة المحبَّة في أمورٍ باطلةٍ. وإذا كانَ عمل المحبَّة يليقُ باسمِهَا؛ فَمِنْ دواعِي السُّخريَةِ أنْ نَنْفُرَ بمعرَوٍل هنا، وآخرَ هناك؛ نُغدِقُ على هؤلاءِ فقط من سخائِنا، ونستبعد أولئك نهائيًّا من دائرة محبتنا التي يُفترض فيها أنْ تكونَ شاملةً...

لا يمكن لأيِّ بناءٍ أنْ يقومَ إذا انْهَارَتْ روابطُهُ، ولا لأيَّةِ كنيسةٍ أنْ تَنْمُوَ وتزداد، إنْ لم ترتبط معًا بروابِطِ السَّلامِ والمحبَّةِ. ليس شيء يتوافق مع طبيعتنا مثل أنْ نعيشَ في سلامٍ أحدُنا مع الآخر، وأنْ نتبادَلَ الحُبُّ والوُدُّ بعضنا مع بعضٍ، ونحن في حاجةٍ، كُلٌّ مِنَّا لمساعَدَةِ الآخر أكثر ممَّا تحتاج إحدى اليدين للأخرى.

إنِّي عندما أتأمَّل في أعضاءِ الجسدِ، وأرى أنَّ ولا واحدٌ منها يكفي بنفسه، فكيف أقدر أنْ أعتبر نفسي مكتفيًا بذاتي مِنْ أجلِ قِوَامِ حياتي الخاصَّة؟ رِجْلٌ واحدة لا يمكنها أنْ تتحركَ بأمانٍ ما لم ترتكز على الأخرى، ولا عينٌ واحدةٌ ترى شيئًا بوضوحٍ ما لم تشترك معها العينُ الأخرى... ونحن نسمع بدقةٍ أكثر عندما يأتينا الصَّوتُ من خلال الأُذنين معًا، وقبضَةُ اليَدِ تكون أقوَى عندما تَنضَمُّ الأصابع مع بعضها. وقُصَارى القول، فإنَّهُ لا يمكن لأيِّ شيءٍ يعمل بالطبيعة، أو أيِّ شيءٍ يعمل بإرادتنا الحرَّة، بدون تَوافُقِ هذه الأعضاء التي من النَّوعِ الواحدِ. بَلْ حتى صلاتنا الخاصَّة هي أضعف من صلاتنا عندما تكون في شركة مع الآخرين.

لا يمكن لشيءٍ أنْ يفصِلَنا عن بعضِنَا البعض ما لم نَرغبْ نحنُ ذلك بمحض إرادتنا؛ لأنَّ لنا ربًّا واحدًا، وإيمانًا واحدًا، ولنا نفس الرَّجاء الواحد، حتى لو تصوَّرتَ نفسك رأسًا، فالرَّأسُ لا يمكن أنْ تقولَ للرِّجْلَيْنِ: «لاَ حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا!» (١كو١٢: ٢١)... لا تَدْعُوا مثل هذا الفِكر يتسلَّط عليكم بقولكم: «**إننا قد ابتعدنا عن المآسي التي يُقاسي منها عامة الناس. فما حاجتنا بعد للاختلاط بالآخرين؟**» ولكن أقول لكم: «إنَّ الرَّبَّ الذي فَصَلَ بالبَحْرِ بين الجزائرِ والقَّارات، عاد فربط بين سكان كليهما بالمحبة»...

أتريدون أنْ تعرفوا ماذا تفعلون مع القريبِ؟ ما ترغبون أنْ يفعله الآخرون لكم. أتعرفون ما هو الشَّرّ؟ هو ما لا تودُّون أنْ تُعانُوا منه مِنْ جهةِ الآخرين.

وإذا كنتُم قد سمعتُم مِنَ الله هذا القول: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يو١٣: ٣٥)، وإذا كانَ الرَّبُّ عندما كان مزمعًا أنْ يُكمِلَ عملَ تجسُّدِهِ، تركَ سلامَهُ لتلاميذِهِ كَهِبَةِ الوَداعِ، بقوله: «سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ.» (يو ١٤: ٢٧)؛ فَعَلَيْهِ لا يمكنني أنْ أقولَ – بدونِ محبَّةٍ للآخرين، وبدون سلامٍ – بقدر ما أحوزه منه فيَّ وبقدر ما أستطيع، مع كُلِّ الناس، إنَّني جديرٌ بأنْ أُدعَى تلميذًا للمسيحِ.

كذلك ينبغي أنْ تكونَ محبتُنا هِيَ هِيَ لكُلِّ النَّاسِ مَشاعًا للجميعِ، وكما أنَّ الإنسانَ طبيعيًّا يهتمُّ بِكُلٍّ مِنْ أعضائِهِ، راغبًا في أنْ يكونَ سائرُ جسدِهِ صحيحًا بالتَّمامِ، لأنَّ الألمَ في العُضْوِ الواحِدِ يُبرِّح الجسد كلَّه. فمَن يُحبُّ عُضْوًا ما مِنْ أعضاءِ رِفْقَتِهِ أكثرَ مِنْ آخَرٍ، فهو يكشف بهذا عن نُقصان محبَّته هو. فهناك أمرانِ متماثلان في عدم المنفعة للجماعةِ أو للأسْرَةِ: النِّزاع المُعيب والوِداد الخاص (العواطف الخاصَّة)، لأنَّ العداوةَ تتأتَّى من المشاحنة، **والغيرة والحسد والريبة** تأتي بسبب اضطراب العلاقات الوديَّة الخاصَّة؛ لأنه حيثما يوجد اختلال في المساواة، تبدأ **عِلَّة الغيرة والبَغْضَاء** عند مَن جِيرَ عليهم.

ولكن مَنْ يُريدُ أنْ يتمثَّلَ تمامًا بصلاحِ اللهِ الذي وَهَبَ نُورَهُ للكُلِّ بالتَّساوي، ويُشرِقُ شمسُه على الصَّالحين والطَّالحين على حدٍّ سواء؛ عليه أنْ يفيضَ بأشِعَّةِ محبتِهِ الدَّافِئَةِ على الكُلِّ سواءً، لأنَّهُ حيثما تهبط المحبَّة وتتوارى، فبدون أدنى شَكٍّ، ستحل مكانها الكراهِيَّة. وإذا كان، حسبما يقول يوحنا (الرسول): «اَللهُ مَحَبَّةٌ» (١يو٤: ١٦)، فبالتالي يكون: «**الشيطان بغضة**». إذن، مَن يقتني المحبَّة في داخلِهِ، فاللهُ هو الذي يكونُ فيه؛ وأيضًا مَن يُكِنُّ البَغْضَاءَ في داخلِهِ، **فالشيطان نفسه** هو الذي يحتلُّه.

وإذا كانت هذه هي طبيعة المحبَّة، فعلينا أنْ نُظهِرَ نَفس المحبَّة لكُلِّ النَّاسِ وعلى حَدٍّ سواء، ونُقدِّم لكُلِّ النَّاسِ الكرَامَة والوَقَار اللائقين بكلِّ واحدٍ. ففي جسدنا الواحد يؤثِّر الألم في عضوٍ ما على الجسد كلِّهِ، وهذا أيضًا بالرَّغمِ مِنْ أنَّ بعض الأعْضاءِ أكثر أهميَّة مِنَ الأُخرى (فالضَّرر الذي يلحقنا بسبب جُرحٍ في إصبعِ الرِّجْلِ، ليس كالذي يلحقنا من الجُرْحِ الذي يُصيب إحدَى العينين، مع أنَّ الألمَ الناتجُ عن كليهِمَا واحد).

وعلى هذا المثال، علينا أنْ نُقدِّم محبَّة واحدة وتعاطُفًا متساويًا لكُلِّ مَنْ نعيشُ معهم على السَّواءِ. أمَّا أولئك المستحقون لكرامَةٍ أكثر فعلينا أنْ نُقدِّمَ لهم الوَقار اللَّائق بهم. ولكن بين المرتبطين برباطِ حياة روحيَّة مشتركة، لا ينبغي أنْ يكونَ هناك تعاطف أكثر مع آخر بسبب قرابة جسديَّة حتى ولو كان أخًا أو ابنًا أو ابنةً، لأنَّ مَن يسلكَ هكذا يكون مدفوعًا بالطبيعةِ، ومثل هذا الإنسان لم ينفكَّ بعد من الميول الطبيعيَّة، بل ما يزال محكومًا بالجسدِ. ولله المجد إلى أبد الآباد كلِّها، آمين.

---

(١) القريب في المفهوم المسيحي هو الذي تربطني به ضرورة اجتماعيَّة، كأن يكون جارًا في السَّكنِ أو زميلًا في العملِ، رئيسًا كان أو مرؤوسًا، أيًّا كان دينه أو مذهبه أو جنسه، ولاسيِّما إذا كان في حاجةٍ إلى محبتي العمليَّة (راجع قصة "السامري الصالح"، لو ١٠: ٣٠–٣٧). والذي ننشره في هذا العدد هو حديث يوجِّهُهُ القديس باسيليوس الكبير، لأبنائِهِ الرُّهبان، ولكنه نافع لكُلِّ مسيحيّ.

---

† لقد أخطأتَ وخدعتَ نفسَكَ إذْ تحسبَ نفسكَ غنيًّا في هذا العالم، أنْصِت إلى صوتِ الرَّبِّ في سفر الرؤيا موبخًا من هم على شاكلتكَ توبيخات مقدسة قائلًا: «لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ. أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَبًا مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَغْنِيَ، وَثِيَابًا بِيضًا لِكَيْ تَلْبَسَ، فَلاَ يَظْهَرُ خِزْيُ عُرْيَتِكَ. وَكَحِّلْ عَيْنَيْكَ بِكُحْلٍ لِكَيْ تُبْصِرَ.» (رؤيا ٣: ١٧–١٨).

أيُّهَا الغنيّ اشترِ لنفسكَ من المسيحِ ذهبًا مُصفًّى بالنَّارِ حتى تصير ذهبًا نقيًّا فتحترق بنجاستك كما بنارٍ، **إنْ غسلتَها بالصَّدقَاتِ**.

اشترِ لنفسكَ ثيابًا بيضًا فتلبس ثوب المسيح الأبيض يا من تعرَّيت منذُ آدم وصرت خائفًا ومخزيًّا. يا من أنتَ غنيٌّ وثريٌّ في كنيسة المسيح، **كحِّل عينيك** اللتين **أظلمتا بظلام السواد وتظلَّلتا في الليل** لا تريان المحتاج والفقير... ليخجل الأغنياء من عقرهم وعدم إيمانهم فالأرملة، الأرملة المحتاجة ماديًّا وُجِدَت غنيَّة في الأعمال، ومع أنَّ ما يقدم سيوزعها على الأرامل والأيتام فإن تلك التي لاق بها أن تأخذ أَعْطَتْ...

القديس الشهيد كبريانوس

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الثاني والعشرون

(تتمة من العدد السَّبق):

كانَ الناس في السوق يجولون ذهابًا وإيابًا: فقراء مساكين كانوا يَرنُّون في جيوبهم بعض النقود التي تحمل **رسم الملك جورج**، والتي لا تكاد تكفي لشراء علبة صغيرة من البطاطا المقليَّة. وكان بينهم مراهقٌ يُدعى اسبيرو السَّاحر: وهو شابٌ كان من عادته أن ينبطح أرضًا ويتنبَّأ مغمِّض العينين، بكلِّ ما سوفَ يحدث من أمورٍ مستغربة. فسقط اسبيرو هذا فجأةً أمام باب الصَّيدليَّة، شاحب الوجه، مُنهكًا، وهو يصرخ:

–«لقد وصَلَ ... وَصَلَ الأسقُف. اركضُوا لملاقاته. لقد وصَلَ القديس الذي سوفَ يُنقذ الجزيرة».

فحاوَلَ **روكو، أحد عمالقة جزيرة پوروس**، ومن قُدامى صيَّادي الاسفنج، أنْ يُبعده ويُسكته، ولكن دون جدوى. فقد بقيَ اسبيروا مُنبَطِحًا على بطنه، مغمِّض العينين وهو يتابع الصراخ:

–«اركضوا ... لقد وَصَلَ الأسقُف».

فأَحاطت به جمهرةٌ من الفضوليِّين: من البحَّارين العاطلين عن العمل، صيَّادين، وصُبيان المحلات، حتى بعض نساء **حيّ التلَّة**. ثمَّ تزايد عدد الفضوليِّين شيئًا فشيئًا، يستمع بعضهم بصمت وآخرون يهزأون.

وكان كاهن البلدة، الأب ميخائيل، يمرُّ آنذاك في الزُّقاق المُؤدِّي إلى **كنيسة الكُليَّة القداسة**، وإذ رآه البعض ركضوا إليه وأخبروه بما يحدث:

–«يا أبَتِ إنَّ اسبيرو يتنبَّأ هذه المرَّة بخصوص أُسقف. ويقول: إنَّ هناك أُسقفًا سوفَ يُنقِذ الجزيرة».

فَقَطَّبَ الكاهن جبينهُ، ورفع جُبَّته، وهَرَعَ نحو حشد الفضوليِّين الذين فسحوا له المجال ليَمُرَّ. وكان اسبيرو لا يزال مُنْبَطِحًا على بطنه أمام الصَّيدليَّة وهو يتابع صُراخه:

–«وَصَلَ الأُسقف ... لقد أتى من مدرسة الأخوين ريزاريو. أَشفِق الله على أرضنا. وَصَلَ أُسقُف المدن الخمس».

فراحَ الأب ميخائيل يُراقب بدقَّةٍ وجه الشَّاب الشَّاحب، وقد بَدَأَت الرَّغوة تخرج مِنْ فَمِهِ. بقيَ واقفًا في وسط جماعة الفضوليِّين ينظر مثلهم، ولا يعرف ما العمل. وكان ها النَّوع من النَّوبات يستمرُّ أحيانًا لحوالي ساعتين.

كانَ والدا اسبيرو مُزارِعَيْنِ فقيرَيْنِ جِدًّا، ثمَّ توَظَّفا في البلديَّة. وكانا

يتعبان كثيرًا في عملهما بينما تفرَّقَ إخوته كُلٌّ في جهةٍ.

هَزَّ الأبُ ميخائيل رأسه ثمَّ شَقَّ طريقه مخترقًا الحشدَ باتجاه المرفأ. وفي تلك اللحظة بالذَّاتِ كانت السَّفينة تدخل بجلالٍ إلى المرفأ آتية من **البيريه**. ونَظَرَ الأب ميخائيل إلى صَارية السَّفينة ورأى الرَّاية التي كان القبطان يرفعها عندما ينقل شخصًا رفيع المستوى. فاقتربَ وراحَ يتفرَّس بالرُّكاب الوافدين. وبعد قليلٍ وجَدَ نفسه في حضرة الأسقُف «المنفي» المشهور، الذي كان يُلقي المواعظ في **البيريه**، ومدير مدرسة ريزاريو. فانحنَى أمامه باحترام، وَقَبَّلَ يده الكريمة؛ وبادرهُ قائلًا:

– « أهلًا وسَهلًا بِكَ يا صاحب السِّيادة في **إيجينا**. هل أنتَ تُشَرِّفنا للمرَّةِ الأولى؟».

فنظَرَ إليه نكتاريوس وهو يبتسم ابتسامته اللطيفة والبسيطة، وأجاب: « إنَّها المرَّة الأولى».

«تفَضَّل إلى بيتي، وسوفَ أُعلن عن حضورك».

«لا داعي لذلك ... سوفَ أنزل في الفندق. كما يجب أنْ أذهبَ إلى **زانطا** إلى المدينة القديمة».

«حسَنًا سأتَكَفَّل بهذا الأمر يا صاحب السِّيادة. إلَّا أنَّ ...

« هل تُريد أن تطلب منِّي شيئًا، أَم أنَّكَ تُحاول أنْ تُعلِمني بِأَمرٍ ما؟

«أطلب المعذرة. أجل ... كلَّا ... حسنًا، لقد حَصَلَ حادثٌ بالقُربِ من هنُا وقد شوَّشنا.

«وما هو ؟

« هناكَ شابٌ، مراهق من عائلة شديدة الفَقرِ، كثيرًا ما يقع أرضًا في وسط السُّوقِ ويغمِّض عينيه ويتنبَّأ. وهو الآن على هذه الحال. وقد سمعته يصرخ منذ قليل بأنَّكَ سَتَصِل وتُنقِذ بلدتنا. إنَّهُ يقول عنك: إنَّكَ رجُل الله ... وقديس.

« وأينَ هو بالضبط هذا الشَّاب ؟

« تفضَّل من هنا يا صاحب السِّيادة».

وتقدما بعض مئاتٍ من الخطوات وانحرفا نحو اليمين ثمَّ نحو اليَسار، فوَصَلا إلى حشد الفضوليِّين الذين تباعدوا أمامهما. وكان اسبيرو ما زال امام باب الصَّيدليَّة وهو يتابع تنبؤاته:

«لقد وَصَلَ الأُسقف ... لقد أتى لِيُنقذ البلدة. سوفَ يُشيِّد كنيسة. سوفَ يؤسِّس ديرًا كبيرًا جدًّا ».

(يتبع)

الإصحاح الثاني

العظة السابعة (١كو٢: ٦-١٦)

ثمَّ يقول: «الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ.» (١كورنثوس٢: ٨).

إذًا لو أنَّهم لم يعرفوا حكمة الله، فإنَّهم لا يستحقون الإدانة، وهذا الجهل بحكمة الله هو ما دفعهم لأنْ يَصلبوهُ، وإنْ كانوا لم يعرفوا، فكيف قال لهؤلاء: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا» (يو٧: ٢٨). إنَّ الكتاب المقدَّس يقول عن **بيلاطس** إنَّهُ لم يعرفه، وكان متوقِعًا ألَّا يعرفه **هيرودس** أيضًا. ويمكن للمرءِ أن يقول: إنَّ هذين يُمثلان «عُظماء هذا الدَّهر». ولكن إنْ قال أحدٌ إنَّ هذا الأمر قيل عن اليهود والكهنة، فهو لا يُخطىء، لأنَّه قال لهؤلاء: «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي» (يو٨: ١٩). فكيف يقول: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا؟». لقد قيل إنَّ اختلاف هذه المعرفة عن تلك، ترتبط في الأناجيل بكيفيَّة فهمنا، ومنعًا للتكرار، فإنَّنا نُحيل المهتمين (بمعرفة هذه الأمور)، إلى ما قُلناه، فيما يختص بتلك النصوص.

٣- ماذا إذًا؟ هل غُفِرَت لهم خطيَّتهم فوق الصليب؟ لأنَّهُ قال: «اغْفِرْ لَهُمْ» (لو٢٣: ٣٤). فإنْ كانوا قد تابوا، يكونوا قد نالوا الغفران، فذاكَ الذي رَجَمَ إستفانوس بقَسْوَةٍ، واضطهَدَ الكنيسة أي بولس، صارَ مُدافعًا عن الكنيسة. هكذا كُلّ مَن أرادَ أنْ يتوب، قد نالَ الغفران، وهذا ما قاله الرسول بصوتٍ مرتفع: «أَلَعَلَّهُمْ عَثَرُوا لِكَيْ يَسْقُطُوا؟ حَاشَا!، أَلَعَلَّ اللهَ رَفَضَ شَعْبَهُ؟ حَاشَا!» (رو١١: ١١ ، ١). وقد أوضَحَ بعد ذلك أنَّ توبة هؤلاء لم تُرفَض، وقَدَّمَ كبُرهان، دخوله هو ذاته في الإيمان، إذ يقول: «لأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِسْرَائِيلِيٌّ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ.» (رو١١: ١). وعبارة: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو٢٣: ٣٤). التي قالها المسيح، يبدو لي أنَّها قد قيلَت عن التدبير الخاصّ بالصليب، أي أنَّهم لم يَعلَموا ماذا يريدوا من الموتِ والصليب، لأنَّه لم يَقُل وهو على الصليب أنَّهم لم يعرفوني، بل قال: «لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»، أي أنَّهم كانوا يجهلون سرّ التدبير الإلهيّ، ولم يعلموا أنَّ الصليب يمكن أن يُشرق بكُلِّ هذا البَهاءِ الكبير، وأنَّهُ سيُصبِح خلاصًا لكُلِّ العالم، وواسطة لمُصالحة الله مع البَشَر، وأنَّ مدينتهم سَتُحَاصَر، وأنَّهم سيُعانون من متاعب وآلام لا حصرَ لها. ولهذا تحديدًا فهو يدعو المسيح والصليب والكرازة، بالحكمة. وفي اللحظة المناسبة، دعا المسيح، بِرَبِّ المجد: «لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ.» (١كو ٢: ٨). لأنَّ الصليب كان يُعتبر رمزًا أو إشارةً لسمعةٍ سيِّئة، لكن الرَّسول بولس أثبَتَ أنَّ الصليب كان مجدًا عظيمًا. وقد تَطَلَّبَ الأمرُ حكمةٌ كبيرة، ليس فقط لكي يعرف الإنسان الله، بل لكي يعرف سرّ التدبير الإلهيّ، لأنَّ حكمة العالم كانت عثرةً وعائقًا، ليس فقط من جهةِ معرفة الله، بل أيضًا بالنسبة لمعرفة سرّ التدبير لإلهيّ.

«بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كورنثوس٢: ٩).

وأينَ كُتِبَ هذا الكلام؟ يُقال إنَّهُ كُتِبَ، وإن كانَ هذا لم يَكُن قد سُجِّلَ بعد في كلمات، إلَّا أنَّهُ استُعلِنَ وظَهَرَ في الأحداث ذاتها، كما جرى في الأحداث التاريخيَّة، أو عندما يكون الأمرُ مرتبطًا بالمعنى وليسَ بالكلمات، كما هو الوضع هنا، لأنَّهُ يقول في أشعياء: «لأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ، وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهِمُوهُ.» (أش ٥٢: ١٥). هذا ما قاله تحديدًا: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ» (١كو٢: ٩). فإمَّا أنَّهُ يقول هذا، أو أنَّهُ أمرٌ طبيعيٌّ أن يكونَ قد كُتِبَ في كُتُبٍ وأنَّ هذه الكُتُب قد فُقِدَت، خاصَّةً وأنَّ كُتُبًا كثيرة كانت قد دُمِّرَت، والقليل منها قد أُنقِذَ من السبيّ الأوَّل، وهذا واضح في سفر أخبار الأيام، لأنَّ الرسول بطرس يقول: إنَّ الجميع من صموئيل والأنبياء الذين آتوا بعده، تكلَّموا عن هذه الأيام. «وَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أَيْضًا مِنْ صَمُوئِيلَ فَمَا بَعْدَهُ، جَمِيعُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا، سَبَقُوا وَأَنْبَأُوا

بِهذِهِ الأَيَّامِ.» (أع ٣:٢٤) . هذه الأمور لَمْ يُشَر إليها قَطُّ، لكن نظرًا لأنَّ بولس كان عارفًا بالنَّاموس، ويتكلَّم بالرُّوح، فكان من الطبيعي أن يعرف كُلّ شيءٍ بِدقَّةٍ. ولماذا أتكلَّم عن السيّ، لأنَّ اليهود كانوا قد وصلوا إلى أقصَى أنواع الجحود، وهذا واضح من ختام سفر الملوك الثاني. كما أنَّ سفر التثنية أيضًا قد وُجِدَ داخِلَ تلالٍ من الأتربة والروث، بعد بحثٍ طويل، وصعوبات، ومتاعب كثيرة. ومن ناحية أُخرى فإنَّ ثمَّة نبُوَّاتٍ مزدوجة مفهومة من قِبَلِ المختصين، توجد في مواضع كثيرة، وكثيرٌ منها يتَّسِم بالغموض.

ماذا إذًا؟ هل ما أعَدَّه الله، لم تَرَهُ عينٌ؟ بالطبع نعم، لأنَّهُ مَنْ مِنَ الناسِ رأى ما قد عَيَّنَهُ التدبير الإلهيّ لأجل المستقبل؟ وكيفَ يقول: لم تسمع بِهِ أُذنٌ ولم يَخطُر على بالِ إنسانٍ. بينما ما تحدَّثَ عنه الأنبياء، فهذا قد أفصَحَ عنه، وإن كانَ لم يتكلَّم عن هذا الأمرُ فقط (أي الأُذن والفكر)، بل عن طبيعة الإنسان ككُل. إذًا ماذا يقول؟ هل الأنبياء لم يَسمعوا؟ من ناحية قد سَمِعوا بالفعل، ولكن أُذن الأنبياء لم تَكُن أُذن إنسان عادي، لأنَّهم لم يَسمعوا كَبَشَرٍ، بل باعتبارهم أنبياء. ومن أجل هذا يقول الكتاب: «يُوقِظُ لِي أُذُنًا، لأَسْمَعَ» (اش٥٠:٤). ويعني بهذا الإيقاظ الذي يصنعه الرُّوح للأُذنِ (أي أنَّ الرُّوح يفتح الأُذن لتستقبل أمور لم تسمع بها من ذي قبل). لأنَّهُ بعد حلول ومنح الرُّوح القُدُس، لَمْ تَعُد أُذن الأنبياء أُذُنًا إنسانيَّة فقط، بل روحانيَّة أيضًا، كما يقول هو نفسه: «أَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ.» (١كو ٢: ١٦). إنَّ ما يقوله يعني الآتي: « أَنَّنَا قبلَ أنْ نَنَال الرُّوح القُدُس، وقبلَ أنْ نتعلَّم الأسرار، لم يَكُن أحدٌ منَّا ولا مِنَ الأنبياء، قد أدرَكَ هذه الأمور، لأنَّهُ كيفَ كان من الممكن أنْ يُدرِكوها، طالما أنَّ الملائكة لم تَكُن تعرفها ؟.

إذًا ماذا ينبغي أن نقول عن ولاة هذا العالَم، طالما أنَّهُ لا أحد مِنَ البَشَر قد عَرَفَ هذه الأمور، ولا حتَّى القوَّات السَّماويَّة؟ وما هي هذه الأمور؟ هي أنَّهُ بجهالة الكرازة سيسود الإيمان على أقطار المسكونة، وأنَّ الأُمم سيقبلوا الإيمان، وسيَتَصالَحُ اللهُ مع البَشَر، وسيفيضُ علينا بخيراتٍ لا حصرَ لها. ولكن كيفَ عرفنا هذا؟ هذا ما يُفصح عنه الرسول بولس بقوله:

«فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ. لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ.وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ، لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ» (١كورنثوس٢: ١٠-١٢).

أعلنَهُ لنا بروحِهِ، وليسَ بحكمة العالم، لأنَّ هذه الحكمة العالميَّة كما لو كانت عبدة محتقرة، لم تأخذ التصريح أو الإذنُ أنْ تأتي إلى الداخل، وأنْ تُشارِك في الأسرار التي للسيِّد.

(يتبع في العدد القادم)

الصوم في فكر الرَّاعي هرماس من القرن الثاني الميلادي

« إسمع. فإنَّ اللهَ لا يريدُ صومًا باطلًا كهذا الصوم؛ إنْ صُمتَ هكذا فأنتَ لا تَعمَلُ شيئًا للبرِّ. صُم للرَّبِّ هكذا: لا تَصنَعِ الشَّرّ، وٱخدُم بقلبٍ نقيّ، وٱحفظ وصايا الله، وسِرْ حَسَبَ أَوامِرِه، ولا تترك للشَّهوةِ الشِّرِّيرةِ مَنْفَذًا في قلبِكَ، وثِقْ بالله، فإنْ فعلتَ هذا، وخَشيتَ الله، تكونَ قد صُمتَ صومًا عظيمًا مقبولًا لدى الله».

«يوم صومِكَ لا تأكل شيئًا سِوى خبزًا وماءً، وٱحتسب ثمن الطعام الذي لم تأكلُه في ذلك اليوم وضعه جانبًا كي تُعطيه لأَرمَلَةٍ، أَو ليَتيمٍ أَو مُحتاج».

يركّز هرماس في وصيّته على الحياة الداخليَّة، مقدِّمًا مَثَلًا لذلِكَ: إنسانٌ سَلَّمَ حقله لِعَبدِه الأمين ولم يوصِهِ إلَّا بتسييجه، وإذ سيّج العبد الحقل رأى الحقل مملوءًا أشواكًا فقام بتنقيته والاهتمام بفلاحته. عاد صاحب الكرم وفرِحَ بما صنعه عبده، وكرَّمه أمام ٱبنه الحبيب وكل مستشاريه وأصدقائه، قائلًا لهم إنَّ هذا العبد صَنَعَ بكامِلِ حُرِّيَّتِه أكثر ممّا أمرتُه به، لذلك أجعله وارثًا مع ابني الحبيب، وبعد أيام صنع سيّده عشاءً وأرسل الكثير من الأطعمة للعبد الأمين، فٱحتفظ بقدر حاجته ووزّع الباقي على رفقائه العبيد... سمع السيّد فصمّم بالأكثر أن يجعله وارثًا.

أسئلة لمراجعة الذَّات والتَّأمُّلِ بِها:

- هل تُحِبَّ ما تَعمَل؟
- هل تَعمَلُ فقط ما يُطلَبُ مِنكَ؟
- هل أَنتَ مِعْطَاءٌ دونَ أنْ تَنتَظِرَ ثناءً أو مُقابِل؟
- هل تَشُكَّ أَنَّ اللهَ لا يرى ولا يُكافِئَكَ على كُلِّ أَتعابِكَ؟
- هل تَتَذَمَّر وتَعتَقِدْ أَنَّ صاحِبَ العَمَلِ لَمْ يُكافِئَكَ بِقَدْرِ ما تَستَحِقّ؟

«إذا عَمِلتَ بِقلبٍ طَيِّبٍ، فأَنتَ تَكونُ قَد صُمتَ صِيامًا مَقبولاً ومَرضِيًّا عِندَ اللهِ».

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

e-mail: light_christ@yahoo.com

http://lightchrist.org/bulletins.html

المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

IBAN: IL480127260000000111122